مطبوعات المجمع العلمي العراقي

ألوان الملابس العربية في العهود الإسلامية الأولى

الدكتور
صالح أحمد العلي



مستل من المجلد السابع والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي

١٣٩٦ هـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٧٦ م

ألوان الملابس العربية

في العهود الإسلامية الأولى

الدكتور

صالح احمد العلي

(١)

الألوان ظاهرة معقدة يمكن دراستها من عدة جوانب ، منها طبيعتها وخصائصها الفيزيائية ومنها تركيب المواد التي تصنع منها سواء المعدنية أو النباتية أو الكيمياوية كما أنه يمكن دراستها بالعلاقة مع المواد التي تُكَوّن بها كالخطوط والأثاث الخشبية والحديدية ، أو الحيطان والسقوف المبنية بالآجر والجص والفسيفساء ؛ أو لعلاقتها بأذواق الناس ونفسياتهم . وسنقتصر في هذا المقال على دراسة الألوان التي ذكرت المصادر شيوعها في الألبسة العربية في العهود الاسلامية الأولى ، مؤملين أن تقدم المادة المعروضة فيها ما يوضح جانباً من الحضارة لم يحظ باهتمام كبير ، وأن تساعد المستزيدين في دارسة هذه الميادين .

ومن المعلوم أن الدولة الاسلامية توسعت بعد تأسيسها بسرعة هائلة ، فبعد أن بدأت نواتها في أول القرن الأول الهجري ، صارت تشمل في أواخر حياة الرسول

(ص) كل الجزيرة العربية تقريباً ، وفي خلال أقل من ربع قرن من وفاته شملت كل البلاد الواقعة بين نهر جيحون في المشرق وتونس في المغرب ، ثم توسعت في عهد الخلافة الأموية في أواسط آسيا والسند وأرمينية والمغرب والأندلس . وكان يقطن هذه الرقعة الشاسعة شعوب ومجتمعات متعددة ، لها تقاليد ونظم إجتماعية واتجاهات فنية وأذواق متنوعة ، كما كانت فيها قبل الاسلام دول ذات نظم وتقاليد يتصل بعضها بألوان الألبسة السائدة عندهم . ومن الطبيعي أن تلك المجتمعات حدثت فيها تبدلات سياسية ومادية وحضارية بعد الفتح الاسلامي بسبب انقراض ملوكها وانهيار سيادة الطبقة الحاكمة فيها ونشاط الحياة الاقتصادية ، وتزايد مكانة الطبقة المتوسطة من أهل المدن وتكاثر عدد المهاجرين الأعاجم الى الأمصار التي أنشأها العرب ، وما كان لهم من آثار تدريجية في الألبسة والأذواق والألوان زاد أثرها بعد مجيء الدولة العباسية ، التي وان كانت ظلت تساند العرب ، إلا أنها أتاحت حرية اوسع للاعاجم ، وخاصة في المدن . للتعبير عن أذواقهم ومثلهم الحضارية ، بل اقتبست بعض مظاهر حضارتهم في الألبسة والألوان ، والواقع أن بعض العرب الذين نزلوا المدن الاعجمية أخذوا يقلدون الاعاجم في ألبستهم وأذواقهم ، ويقول البلاذرى إن عباد بن زياد غزا قندهار «ورأى قلانس أهلها طوالاً فعمل عليهافسميت العبادية»(١) ويقول الجاحظ «وكذلك ترى أبناء العرب والأعراب الذين نزلوا خراسان لاتفصل بين من نزل أبوه فرغانة وبين اهل فرغانة ، ولا ترى بينهم فرقاً في السبال الصهب والجلود القشرة والأقفاء العظيمة والأكسية الفرغانية ، وكذلك جميع تلك الارباع لاتفصل بين ابناء النازلة وبين ابناء الثابتة» (٢) والراجح ان ماقاله الجاحظ عن ماوراء النهر ينطبق على أنحاء أخرى من الدولة الاسلامية ، كما أن ازدياد هذا الاقتباس هو أحد المبررات التي وصف

١- فتوح البلدان ٤٣٤

٢- مناقب الاتراك . ضمن مجموعة رسائل الجاحظ ٦٣/١-٤

فيها الجاحظ الدولة العباسية بأنها « دولة أعجمية خراسانية ، ودولة بني مروان أموية عربية » (١) .

والواقع أن التطورات التي حدثت في العصر العباسي لم تقتصر على تزايد أثر الأعاجم في مظاهر الحياة المادية ، ومنها الألبسة ألوانها ، بل امتدت الى ميادين اخرى ،منها اكثار الدولة من دور الطراز التي تنسج الألبسة للخليفة والمقربين اليه تبعاً لما تقرره الدولة ، ومنها فرض ازياء رسمية ذات ألوان تقررها الدولة ، ومنها تزايد الخاصة من الملتفين حول بلاط الخليفة،وكذلك عدد الموظفين وتمايزهم بالألبسة والألوان ، واهتمام المصادر بأخبارهم . ولاريب في أن كثيراً من هذه التطورات قد بدأت قبل مجييء العباسيين ، ولكنها توسعت بعد ذلك العهد كما أن مظاهر الحضارة المادية ، بما في ذلك الالبسة وألوانها ، لم تزل كلياً بعد مجييء العباسيين . ولما كان بحثي محدداً بالألبسة العربية في العهود الاسلامية الأولى ، فإني لم أتوسع في بحث ألوان الالبسة في العصر العباسي واكتفيت ببعض الاشارات إليها ، لإظهار الاستمرارية أو للمقارنة فحسب .

لقد ظهر الرسول (ص) بين العرب ، وبدأ ينشر دعوته فيهم ، فكان منهم الصحابة الأولون الذين استجابوا لدعوة الاسلام وتشبعوا بروحه ، وكوّنوا الدولة الاسلامية ووسعوا رقعتها ، وصاروا المثل الأعلى في حياتهم للمسلمين . وكان العرب هم المسيطرين في الدولة ، وقد استوطن المهاجرون منهم الى الاقاليم المفتوحة في عدد من الأمصار التي أنشأوها ، وكوّنوا فيها الغالبية العظمى من السكان ، وبذلك سادت في هذه الأمصار الأزياء الشائعة بين العرب .

ولا يخفى أن أهل الجزيرة كانوا عند ظهور الاسلام متباينين في أذواقهم وألبستهم ومستوياتهم الحضارية ، وقد أشارت المصادر الى بعض التباين بين لباس

١- البيان والتبيين ٣/٢٠٦

أهل الريف والقرى والمدن ، ولباس الأعراب من البدو ، فقد كان من لباس الأعراب البردة (١) ، والبجاد (٢) ويذكر ابن الحائك الهمداني عن صنعاء « أما أهل بواديهم فأهل شعور من الحمام ، ومنهم منحلة وأصحاب لبس الحمرة ومن بعد منها فأصحاب خضاب من ورس وزعفران » (٣) والراجح ان كلام الهمداني ،وهومن أهل القرن الرابع الهجري ، ينطبق على العهود الاسلامية الأولى فيها ، وأن تمايز أذواق أهل المدن عن أهل البدو لم يقتصر على صنعاء وحدها ، بل كان قائماً في أماكن اخرى .

وذكر ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز « كتب أن لاتلبس أمة خماراً ولا يتشبهن بالحرائر » (٤)وكانت الدولة منذ عهد الرسول (ص) تجبى بعض الضرائب في الألبسة ففي المعاهدة التي عقدها الرسول (ص) مع أهل نجران ، فرض عليهم « الفي حلةمن حلل الأواقي ، في كل رجب الف حلة ،وفي كل صفر الف حلة ، كل حلة اوقية من الفضة » (٥) وقد استمر الخلفاء من بعده يجبون من النجرانيين الضريبة بالملابس ،حتى القرن الثالث الهجري ،وان كان مقدار الحلل المجباة تناقص على مر الايام . وقرر الرسول على الذميين من اهل اليمن « على كل حالم وحالمة ذكرا وانثى ، حر أو عبد ديناران او قيمة المعافر أو عرضه ثياباً » (٦) .

١- لسان العرب ٥٣/٤ الاغاني ١٣/٢ (وسنشير الى لسان العرب بكلمة لسان)

٢- لسان ٤٣/٤

٣- الاكليل ٨/١٠

٤- ابن سعد ٢٨١/٥

٥- أنظر هذه المعاهدات والمصادر التي اوردتها في كتاب « الوثائق السياسية لمحمد حميد الله . وثيقة ٩٤ ، ١٠٣ .

٦- المصدر السابق : وثيقة ١٠٩ ، ١١٠ وانظر عن ثياب المعافر ابن حنبل ٢٣٠/٥ ، ٢٤٧ ابو داود زكاة ٥ ، النسائي : زكاة ٨ .

وقد فرض خالد بن الوليد على أهل الانبار أن يقدموا الف عباءة قطوانية » (١)
ولا ريب في أن هذه الثياب المجباة كانت توزع على المسلمين مع العطاء ، وقد ذكرت المصادر توزيع الكسى على الناس في الحجاز والشام ، فأما في الحجاز فإن محمد بن سلام الجمحي يروى « جاءت عمر حلل من اليمن فأعطى أصحاب رسول الله (ص) وأبو أيوب الانصاري غائب فرفع لنفسه حلة واخذ لنفسه حلة» (٢)

ويروى البلاذري بسند عن الحسن أنه قال « أدركت عثمان وعلي مانقموا منه وما يأتي على الناس يوم إلا وهم ينالون فيه خيراً ، ويقال أُغدوا على أعطياتكم فيأخذونها ويقال أغدوا على كسوتكم فيأخذونها » (٣) ويقول ابن سعد « وأمر عمر فكتب له عيال اهل العوالي فكان يجري عليهم القوت ، ثم كان عثمان فوسع عليهم في القوت والكسوة » (٤) .

ولم يرد ذكر لتوزيع الدولة الألبسة على أهل الحجاز في العصر الاموي ، أما في العصر العباسي ، فيروي مصعب الزبيري أن عبد الله بن مصعب بن ثابت في عهد خلافة المهدي « جلس للناس يعطيهم الأموال ، يعطي الرجل من قريش ثلاثمائة دينار ويكسوه سبعة أثواب » كما يذكر أن الرشيد كان معجباً بأبي بكر ابن عبدالله بن مصعب «وأخرج لأهل المدينة على يديه نصف عطاء وكسوة وقسماً في سنة ١٨١ هـ ، وأخرج على يديه ثلاثة اعطية وكسوة فاخرة في سنة ١٨٦ هـ...وأخرج على

١- فتوح البلدان ٢٤٥

٢- تهذيب ابن عساكر ٥/٤٠ .

٣- انساب الاشراف ٥/١٠٠ .

٤- ابن سعد ٣-١/٢١٤

يديه في سنة ١٨٨هـ نصف عطاء وكسوة وقسماً »(١) أما في الشام فيذكر عوانة أن الضحاك بن قيس رئيس القيسية في يوم مرج راهط قتل « وقتل معه من الأشراف ثمانون كلهم كان يأخذ القطيفة ، كان لكل رجل منهم في العطاء ألفان وقطيفة يعطونها مع عطائهم »(٢) والراجح أن القطيفة لم يقتصر أخذ ها على أشراف القيسية ، بل كان عاماً على الأشراف من جميع القبائل . ويدل نص البلاذرى على أن توزيع القطيفة كان معمولاً به في أواخر خلافة السفيانيين ، ومن المحتمل أن بداية تطبيقه ترجع الى عهد الخلافة الراشدة ، وأن العمل بها استمر في خلافة المروانيين أيضاً ، ومن الطبيعي أن هذه القطيفة كانت توزع بصورة منتظمة وثابتة ، وهي غير الهدايا من الألبسة التي يتردد في المصادر أنه قدمها الخلفاء الأمويون ، وخاصة المتأخرين منهم ، وكذلك الخلفاء العباسيون .

لابد أن الخلفاء لم يكونوا يشترون المنسوجات التي يعطونها أو يهدونها ، ولعل كثيراً منها كان مما يؤخذ من الضرائب العينية على المنسوجات في بلاد الشام . غير أنه لايمكن الجزم بأنها مما كان يصنع في دور الطراز ، فان الطراز وإن كان مذكوراً في بيت لحسان بن ثابت في صدر الاسلام ، وأن الثياب ذات العلم الذي كان يدل في العصر العباسي على صنعه في الطراز ، مذكورمنذ زمن الرسول (ص) (٣) إلا أن المصادر تنص على ان هشام بن عبد الملك « هو اول من اتخذ الطراز » (٤)

إن توزيع الدولة الملابس والمنسوجات لايعني أنها عملت على ترويج استعمال ألوان معينة فلا يوجد في المصادر دليل عل انها كانت تفرض ألواناً معينة على

١– نسب قريش ٢٤٢ .

٢– انساب الاشراف ٥/١٣٦ الطبري ٢/٤٧٧ .

٣– عن هذه الاحاديث انظر فنسنك : المعجم المفهرس مادة (علم) .

٤– الذخائر والتحف ٢١١ وانظر عن الطراز ونشأته دائرة المعارف الاسلامية مادة (طراز) وكذلك ماكتبه سارجنت في مقاله عن المنسوجات الاسلامية المنشور في مجلة Ars Islamica

المنسوجات التي توزعها أو أنها فرضت زياً رسمياً ذا ألوان مميزة حتى على مستخدميها من الجند والشرطة ورجال البلاط ، إلا ما ذكره القاضي الرشيد «كان هشام وبنو مروان يكسون الناس الخز إلا الأصفر والأحمر ، ويكسونهم ما سوى ذلك من الألوان ، ويدخرون الأحمر والأصفر لأنفسهم »(١) فان فرض الدولة لوناً رسمياً يستعمله المتصلون بها لم يبدأ إلا في العصر العباسي حيث اتخذ السواد شعاراً رسمياً ، كما تميز بعض الجماعات ، كالكتاب والفقهاء والتجار والجند والدهاقين بألبسة خاصة ذات ألوان خاصة .

وفي القرآن الكريم آيات تذكر الزينة وتدعو إليها ، فقال تعالى«يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » (الاعراف ٣١–٣٢) وقد ذكرت زينة الحياة الدنيا في عدة آيات (الكهف ٧و ٢٨ و ٤٦ الحديد ٢٠ هود ١٥ القصص ٦٠ الاحزاب ٢٨ كما وردت كلمة الزينة ومشتقاتها في حوالي أربعين آية ، والقيد الوحيد الذي فرضه القرآن الكريم هو في منعه التبرج واظهار الزينة للناس .

ومن الطبيعي أن الزينة تشمل عدة مظاهر من أبرزها أصباغ الألبسة وألوانها وقد ذكر القرآن الكريم اختلاف الألوان في (٧) ايات (الروم ٢٢ والنحل ١٣ و٦٩ فاطر ٢٧و ٢٨ الزمر ٢١ » ، وهي تشير الى اختلاف ألوان البشر والمواشي والزروع والجبال .

وقد ذكر القرآن الكريم خمسة ألوان هي الأحمر والأصفر والأخضر والأسود والأبيض .

فأما الاحمر فلم يذكر الا في آية واحدة في وصف الجبال (فاطر ٢٧) وأما الأصفر فقد ذكر في أربع آيات ، إحداها عن لون بقرة بني اسرائيل (البقرة٦٩)

١– الذخائر والتحف ص ٢١١

والثلاث الأخرى في وصف لون النبات (المرسلات ٣٣ الحديد ٢٠ الروم ٥١) .

أما الأسود فقد ورد في ست آيات ، احداها في وصف لون الجبال (فاطر ٢٧) وأخرى في لون الخيط الذي يميز به الفجر (البقرة ١٨) واثنتان عن وصف وجه من كان يبشر بالأنثى (النحل ٥٨ الزخرف ١٧) واثنتان في وصف وجه الكاذبين على الله (الزمر ٦٠) والكافرين بعد الايمان (آل عمران ١٠٦) .

أما اللون الأخضر فقد ذكر في سبع آيات ، أربع منها في وصف لون النبات والشجر (يسن ٨٠ يوسف ٤٣ ، ٤٦ الحج ٦٣) وثلاث في وصف ثياب الجنة من السندس الأخضر (الانسان ٢١ الكهف ٣١ ومتكئهم من الرفرف (الرحمن ٧٦)

أما اللون الأبيض فقد ذكر في إحدى عشرة آية ، خمس منهن عن لون يد موسى عند ما ناظر السحرة (الأعراف ١٠٨ طه ٢٢ الشعراء ٣٣ القصص ١٢ و ٣٢ وواحدة كناية عن العمى (يوسف ٨٤ وواحدة عن لون الجبال (فاطر ٢٧) وواحدة عن لون الخيط الذي يميز به الفجر (البقرة ١٨٧) . وآية واحدة في وصف وجه من انعم الله عليه بالجنة (آل عمران ١٠٦) وأخرى في وصف الكأس الذي يدار على أهل الجنة (الصافات ٤٦) وأخرى في وصف جواري الجنة (الصافات ٤٩) ومن هذا يتبين أن لون الملبوسات الوحيد الذي أشار اليه القرآن هو الأخضر وأنه ليس في القرآن حض على استعمال لون معين أو تفضيله على غيره .

وتظهر الأحاديث النبوية وتراجم الصحابة والتابعين ، وسنذكر كثيراً منها عند الكلام عن كل لون ، أن الرسول (ص) والمسلمين الأولين استعملوا ألبسة ذات ألوان متعددة ، ولم يقتصروا على لون واحد أو ألوان محددة ، كما لم يرد في الأخبار ذكر تحريم استعمال لون معين ، كما أنهم لم يقيدوا استعمال الالوان إلا في الإحرام وعند الحداد ، أما فيما عدا هاتين الحالتين فقد أطلقت الحرية في اختيار ألوان

الملابس التي صار يتحكم فيها الذوق السائد الذي تتحكم فيه التقاليد الموروثة والمؤثرات الحضارية بالدرجة الاولى . وكان الذوق السائد هو الذي يفرض على الصباغين ألوان الأصباغ ، وليس العكس .

ولا ريب في أن المجتمع الاسلامي تعرض الى تطور بطيئ بفضل الإختلاط الكبير مع الأعاجم ، وازدياد القوة الشرائية ، وارتفاع مستوى المعيشة ، وقد أثر هذا في اقتباس العرب بعض الملابس والألوان التي كانت شائعة بين الأعاجم . وكان هذا الاقتباس أسرع وأشمل في المدن والأقاليم البعيدة عن قلب الجزيرة العربية حيث كان عدد العرب بالنسبة للاعاجم قليلاً نسبياً ،كما أشرنا الى ذلك من قبل .

أما في الجزيرة العربية وفي الأمصار فقد كان الاقتباس بطيئاً ومحدداً وظلت الألبسة والألوان القديمة هي المفضلة عند العرب الذين كوّنوا غالبية السكان المطلقة فيها ، وكان أثرهم واضحاًعلى العدد الكبير من الأعاجم وخاصة الموالي الذين الذين استوطنوا الأمصار العربيةخاصة والذين صاروا يلبسون ألبسة العرب الملونة بالألوان التي يفضلها العرب . والواقع أن عدداً غير قليل من الأفراد الذين سنذكر ألوان ملابسهم هم من الموالي ، أي أنهم ليسوا عرباً بدمهم ، ولكن كانت لغتهم عربية ، ودينهم الاسلام ، ومثلهم العليا في الحياة مستمدة من الرسول (ص) والصحابة . ولم تشر المصادر التي ذكرت الملابس وسمّت لابسيها ، الى تمييز ألبسة الموالي وأذواقهم عن غيرهم من العرب ،علماً بأن بعض المصادر كانت تشيرإلى لباس الاعاجم .

لقد ذكرت من قبل أن الدولة لم تفرض قبل مجيئ الخلافة العباسية استعمال لون خاص يميز رجالها أو موظفيها وعمالها ، كما لاتوجد إشارة أو دليل على

تمايز الطبقات أو أهل الحرف ، بما في ذلك الكتاب والفقهاء والتجار والدهاقين بألبسة ذات ألوان معينة ، كما هو الحال في العصر العباسي .

وقد قدمت المصادر عن ملابس الرجال وألوانها معلومات أوفر مما قدمته عن ملابس النساء وألوانها ، غير أن هذه المعلومات تكفي للاستنتاج بعدم وجود تباين كبير بين اذواق النساء والرجال في اختيار الألوان وتفضيلها ، رغم أن كتب الفقه والاوساط الأشد تمسكاً بالشريعة تؤكد على قيود أشد على الرجال ، فتذكر كراهية استعمال الرجال لبعض الألوان والألبسة التي لايرون كراهيتها للنساء .

ولاريب في أن أهل الأمصار العربية ، وهم الذين وصلتنا عنهم أكثر الأخبار لم يكونوا في حالة واحدة من الذوق أو مستوى المعيشة أو الثروة ، فقد كان فيهم الفقراء والزهاد ومحبو البساطة في المظاهر ، كما كان فيهم الأغنياء والمترفون والمعنيون باختيار ملابسهم وألوانها . الا أن المصادر الأدبية التي عليها جل اعتمادي ، اهتمت بذكر العلماء والمصلين بالخليفة وبعض « العلية » ودونت ملابسهم وألوانها ، فمعظم المعلومات التي أذكرها في هذا المقال تتعلق بألوان ملابس « طبقة » معينة ولكن يجدر أن نلاحظ أن هذه الطبقة كانت لها مكانة كبيرة في المجتمع ، وكانت أنموذجاً يقدره الآخرون ويعملون على الاحتذاء به ، فملابسهم وألوانها تمثل « المثل العليا » التي يعمل الكثيرون على تقليدها ونشرها بين الناس فهي منتشرة بين أفراد وأوساط اكثر بكثير من العدد القليل الذي صرحت المصادر بذكر اسمائم ثم أن كتب الفقه تهتم بما ينبغي أن يسود عند سواد الناس وعمومهم . فالألوان التي تشير الى إستعمالها كانت هي السائدة بين الغالبية العظمى من الناس في بيئات الفقهاء الذين ألفوا تلك الكتب على الأقل .

إن المعلومات المذكورة في المصادر التي اعتمدت عليها مستمدة بالدرجة الأولى ممن سكن المدينة ومكة والكوفة والبصرة ودمشق . ويلاحظ أن أهل

هذه الأمصار هم من جزيرة العرب ، وأن الاتصال بينهم كان وثيقاً ، بدليل الوحدة الظاهرة في ألوان ملابسهم ، والراجح أن ماذكر عنهم ينطبق على ألوان البسة من لم تذكرهم المصادر من العرب .

لم يبق من نماذج ألبسة العهود الأسلامية الاولى إلا عدد قليل جداً تحتفظ به بعض المتاحف ، ونظراً لأن ما وصلنا قليل جداً ، فلا يمكن الادعاء بأنه يمثل السائد في تلك العصور ولا يصح الارتكاز عليه وحده لدراسة الألبسة والألوان في العهود الأسلامية الأولى (١) .

ولم أرجع في هذه الدراسة الى المصادر المعاصرة غير العربية كالسريانية أيضاً لأن المطبوع منها لم يشر الى الملابس وألوانها فضلا عن أنها لم تهتم كثيراً بدراسة العرب المسلمين وأحوالهم ، بله ملابسهم وألوانها .

لقد كان اعتمادي الاكبر في هذه الدراسة على المصادر الأدبية وخاصة كتب اللغة والحديث والتراجم والتاريخ ، وأقدم مادوّن من هذه المصادر يرجع الى أواخر القرن الثاني الهجري فما بعد ، غير أن الاهتمام الكبير بتتبع أخبار أهل صدر الاسلام ، والعناية الفائقة في تحري الدقة في نقل أخبارهم يبرر الاعتماد على ما أوردوه من معلومات عن الأزمنة التي سبقتهم ، علماً بان كثيراً مما كان سائداً في العهود الأولى إستمر مستعملاً الى الزمن الذي بدأ فيه التدوين .

ولعل أوسع مادة عن الألوان موجودة في كتب المعاجم التي رتبت معلوماتها باحدى طريقتين : أولهما تبعاً للمواضيع والثانية تبعاً لحروف الالفباء .

وأبرز الكتب التي بحثت عن الألوان متبعة الطريقة الاولى هما كتابا « فقه اللغة » للثعالبي و « المخصص » لابن سيدة .

---

١ - يقول الدكتور زكي محمد حسن « لانكاد نعرف اليوم نماذج تستحق الذكر من منتجات ايران وصناعة النسيج في فجر الاسلام » (الفنون الايرانية ٢١٤ وانظر ايضاً الفنون الاسلامية ٢٤٩ فما بعد)

فأما كتاب الثعالبي فإن فيه فصلين أحدهما عن الألوان (٧٠–٧٧) بحث فيه المفردات المستعملة في لون البياض ،والسواد والحمرة في الانسان والحيوان كما عقد فصلاً آخر عن ألوان الثياب (٢٤١–٢٤٣) ومادته ذات قيمة كبيرة ، وهي يسيرة المتناول ، إلا أنها مقتضبة .

وأما كتاب المخصص فهو كتاب ضخم مرتب حسب المواضيع ، وعرض للمفردات والتعابير المتعلقة بكل موضوع ، وقد كتب فصلاً عن النبات الذي يُصطبغ فيه ويُختضب (٢٠٩/١١–٢١٣) وفيه ذكر لعدة ألوان مستعملة في الملابس ، إعتمد فيها على عدد من اللغويين والنباتيين القدماء .

أما المعاجم المرتبة على الالفباء ، فقد اعتمدت منها على « لسان العرب » لابن منظور نظراً لأنه من أوسع المعاجم وأكثرها توثقاً ،وقد نقل في المواد التي بحثها أقوال عدد من لغويي القرن الثاني والثالث الهجري ، كما نقل عن ابن سيدة وأورد بعض الأحاديث نقلاً عن النهاية لابن الاثير . ومادته دسمة ، الا أن ترتيبه على المعجم قد يُضَيِّع على المتتبع لبعض الألوان، وقد كان عليه جل اعتمادي في معرفة آراء اللغويين ومعرفتهم بالألوان .

وقد نظم السيد علي بن العِزّ أرجوزة في الألوان ، نشرها مع شرح واف العلامة محمود شكري الآلوسي في المجلد الرابع من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .

وفي كتب الحديث معلومات غير قليلة عن ألبسة الرسول (ص) والصحابة وعن الألوان: وقد عقدت بعض هذه الكتب فصولاً خاصة عن لباس الرسول وألوانه ، وعن ألبسة الاحرام . وقد يسّر المعجم المفصل لألفاظ الحديث النبوي ، الذي تم باشراف فنسنك مراجعة هذه الاحاديث وكان عليه جل اعتمادي في دراسة ما يتعلق بالألوان من احاديث الرسول علماً باني رجعت إلى الكتب الأصلية لتدقيق بعض النصوص ، وخاصة المهمة منها في بحثي .

أما كتب الفقه فهي تسجل الصورة الشرعية المقبولة لسلوك المسلمين في مختلف جوانب الحياة ، وقد تطرقت هذه الكتب الى ألوان الألبسة عند إشارتها إلى المباح أو المكروه أو المحرّم . ولهذه الاشارات أهمية كبيرة لأنها تسجل الألوان الشائعة بين الناس ، وتعبر عن رأي الأوساط المتدينة فيها كما تلمح إلى الشائع من الألوان بين الناس .

وقد تميزت المؤلفات الفقهية الأولى التي وصلتنا ،وخاصة « الموطأ » و « المدونة » لمالك بن انس ، و « الجامع الكبير » و « الحجج » لمحمد بن الحسن الشيباني و « الأم » للشافعي و « الكافي » للكليني بأنها تعبر عن معرفة وعلم وخبرات مؤلفيها فيما كان معروفاً في عصر الرسول والصحابة والتابعين ، وفي عصر مؤلفيها ضمن نطاق الصورة العامة الفقهية . ولهذه الكتب الأولى اهمية خاصة في دراستي نظراً لأنها كتبت في الامصار التي اكثر سكانها من العرب والتي يسود فيها ذوق العرب. اما الكتب الفقهية المتأخرة فلم أتعمق في دراستها لأنها تميل إلى نقل المعلومات التي وردت في الكتب القديمة وقلما تشير الى الأحوال السائدة في العصر الذي دونت فيه .

أما كتب التراجم فأهمها لدراستي هو كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ) وهو مكون من ثمانية أجزاء ضخمة في تراجم الرسول (ص) والصحابة والتابعين والعلماء ممن عاش في المدينة ومكة والكوفة والبصرة خاصة ، وقد إهتم بتسجيل ملبوسات بعض المترجم لهم ، وخاصة البارزين منهم ، وبألوانها . وقد نقل معلوماته عن رواة معتمدين ، واعتمد عليه المتأخرون دون أن يضيفوا كثيراً على ماذكر في هذا الموضوع . ومعلوماته عن الألبسة وألوانها مذكورة في في تراجم لابسيها ، فهي متفرقة في ثنايا هذا الكتاب الضخم .

ويلاحظ أن ابن سعد من علماء الحديث ، وهو متأثر بالمثل المقبولة في أوساطهم ولعل لهذا أثراً في اختياره المادة التي أوردها في كتابه ، فهو يهتم بالدرجة الاولى بالإشارة إلى ماهو مقبول أو مكروه عند هذه الأوساط ، علماً بأن ذلك يعبر عن المثل المقبولة عند السواد الأعظم من أهل تلك الأمصار ، وعما كان سائداً عندهم . وإن المادة التي جمعها إبن سعد بتأثير هذه النظرة التي ذكرتها ، جعلته لايعنى كثيراً بالألبسة والألوان الشائعة بين بعض رجال الحكم والإدارة او الأغنياء والمترفين وأهل الانس ، أو ألبسة الأعاجم في خارج الأمصار أو ألبسة أهل الذمة .

ويكمل المادة التي أوردها إبن سعد ماجاء من معلومات في بعض كتب الأدب والتاريخ ومن أبرزها كتاب الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني (ت ٣٥٦هـ) الذي جمع مادة ضخمة عن الشعراء ورجال السياسة والإدارة والمتصلين بالخلفاء والمغنين وذكر ملبوسات بعضهم وألوانها معتمداً على مصادر معتبرة . فمادته تشمل ما كان سائداً في أوساط أهملها إبن سعد ، وبذلك تكون مادته مكملة لما أورده ابن سعد .

وفي كتاب (عيون الاخبار) لإبن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) معلومات قيمة رغم قلتها عن ألوان الألبسة عند « العلية » من رجال الإدارة والبلاط .

ولكتاب « تاريخ الرسل والملوك » لمحمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠) أهمية خاصة فهو أوسع كتاب عن الأحداث السياسية الإسلامية حتى نهاية القرن الثالث الهجري وقد أشار في ثنايا بحثه إلى ملبوسات بعض كبار الرجال ، وخاصة الخلفاء والقواد والولاة ، وذكر ألوان ألبستهم .

وفي كتابي (التاريخ) لليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) و (مروج الذهب) للمسعودي (ت ٣٤٦هـ) إشارات قليلة ولكنها قيّمة عن الألبسة وألوانها ، وفي كتاب (البدء والتاريخ) للمطهر المقدسي إشارات الى الألوان التي أتخذتها بعض الفرق شعاراً لها . وبعض هذه الإشارات وردت في كتب الفرق .

أما الدراسات الحديثة فأكثرها اختصت بدراسة الالبسة والمنسوجات ، وفيها بعض الإشارات الى الألوان . ومن أقدمها كتاب « المعجم المفصل بأسماء الملابس العربية الذي نشره رينهارت دوزي سنة ١٨٤٣ وترجمه الدكتور أكرم فاضل الى العربية سنة ١٩٧١ . وقد قدم دوزي كتابه بمقدمة ، ثم أتبعه بذكر وصف عدد كبير جداً من الألبسة التي استعملت في البلاد الاسلامية مرتبة على الحروف الهجائية . وقد إهتم بصورة خاصة في الأقسام الغربية من العالم الاسلامي، واعتمد على عدد كبير من المصادر ، وخاصة كتاب السلوك للمقريزي ، وكتاب ألف ليلة وليلة ، وكذلك كتب الرحالة الغربيين ، غير أنه بالنظر لقدم تأليف الكتاب فان دوزي فاتته معلومات كتب كثيرة طبعت فيما بعد . كما أنه لم يهتم كثيراً بالمعلومات المتعلقة بألوان الملابس ، وهي التي نقصر عليها هنا دراستنا ، ففائدته محدودة لهذا المقال .

وقد نشر الاستاذ ماير كتابه عن الملابس المملوكية سنة ١٩٥٢ وقد ترجمه الى العربية صالح الشيبي سنة ١٩٧٢ . وفي هذا الكتاب مادة غنية منظمة تبعاً للابسيها من الخلفاء والسلاطين وكبار الموظفين والعلماء والعامة . ومع الإشارة إلى مادتها وألوانها ، غير أن بحثه مقتصر على الفترة المملوكية المتأخرة عن الفترة التي ندرسها .

ونشر الاستاذ سارجنت في مجلة Ars Islamica مقالات عنوانها (مواد لدراسة المنسوجات الاسلامية) في العصور الوسطى مصنفة تبعاً للمواقع الجغرافية لأماكن إنتاجها ، وقد أورد في دراسته مادة واسعة مستوعبة، غير أنه خصص فصلاً قصيراً عن الصباغين قدم فيه نصوصاً عن الصباغين اليهود وعما ذكرته بعض كتب الحسبة عن الصباغة . وأكثر مادته عن المنسوجات العباسية أما ألوانها فلم يهتم ببحثها .

ومن المعلوم أن الألوان كثيرة ، وأن اللون الواحد يختلف في مدى خفته و كثافته أو مدى صالته وامتزاجه بالالوان الأخرى ، وهذا يقتضي ملاحظة الألوان الأساسية الخالصة ، والمركبة أي الممتزجة مع الألوان الأخرى ، كما يقتضي أيضاً بيان درجة خفة و كثافة كل لون . وقد وردت في اللغة العربية نصوص تفيد في فهم العرب للألوان .

فقد ذكر الثعالبي في الفصول التي خصصها للألوان في كتابه « فقه اللغة » تفاصيل عن كل من اللون الأبيض والأسود ، ومعلومات عن اللون الأحمر ، وإشارة واحدة فقط الى اللون الأخضر . ولعله كان في ذهنه ، وإن لم يصرح بذلك أن هذه الألوان هي الأساسية وذكر الشيخ علي بن العز الحنفي الشهير بالجارح في ارجوزته عن الألوان أنواع الأسود والأحمر والأخضر والأبيض .

وتطرق الجاحظ في كتاب الحيوان الى الألوان فقال « البياض مياع مفسد لسائر الألوان » وأن « البياض ينصبغ ولا يصبغ ، والسواد يصبغ ولا ينصبغ ، وليس كذلك سائر الالوان لأنها كلها تصبغ وتنصبغ » وقال أيضاً « إن الصفرة متى اشتدت صارت حمرة ، ومتى اشتدت الحمرة صارت سواداً وكذلك الخضرة متى اشتدت صارت سواداً » وذكر ان البعض يرى ان « الألوان كلها إنما هي السواد والبياض » (١) .

وبين العلامة محمود شكري الآلوسي في شرحه لأرجوزة الألوان أن البياض هو أساس الألوان ، ونقل بعض آراء ابقراط وابن سينا في ذلك (٢) .

وذكر مؤلف كتاب « مفرج النفس » أن الالوان « تنقسم الى قسمين بسيط ومركب ، فالبسيط عند بعضهم لونان : الابيض والاسود ، وعند بعضهم

١- الحيوان ٥/٥٧-٥٩ .

٢- مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١-٣/٧٧ .

اربعة ، وهي الابيض والاسود والاحمر والاصفر وما يتركب منها وتولد الاخلاط السوداوية وما يحدث عنها من الفكر الردية والهموم المؤذية والأحزان الملازمة . » وتعمى القلوب . والألوان المفرحة على ماقررنا وهي الأبيض والأحمر والأخضر والاصفر (١) .

وقد أدرك العرب الاختلافات في اللون الواحد ووضعوا كلمات يعبر كل منها عن نوع خاص من اللون ، وقدم بعض اللغويين شروحاً لتوضيح هذه الكلمات وتبيان الفروق بينها . وهذه الكلمات متفرقة تبعاً لمواضعها في المعاجم . غير أن الثعالبي في كتاب « فقه اللغه » والعز في ارجوزته جمع كثيراً منها مصنفة، وذكرت بعض كتب الاحجار ، واهمها كتاب الجماهر في معرفة الجواهر « للبيروني » أنواع بعض الألوان .

فأما اللون الأبيض فقد ذكر الثعالبي منه (الأبيض اليقق ، اللهق ،الواضح ، الناصع ،الهجان،الخالص ، ثم ذكر إسم الأبيض من البشر والحيوان والنبات) وأسمه إذا اختلط بالحمرة أو الصفرة أو الغبرة ، واسم البياض إذا كان في خلفية مخالفة .

وذكر علي بن العز في أرجوزته :

أبيض ملاح لياح دمرغ ثم فقاعى صراحى(كذا)

ويقق ولهق وناصع (٢)

وذكر البيروني من الأبيض اليقق (٣) والبلوري (٤) .

اما الأسود فقد فصل قدامة والثعالبي وعبد الرحمن بن عيسى والنويرى في اختلافها

١– نشره بشر فارس في كتاب « سر الزخرفة الاسلامية » ص ٣٩–٤٠ .

٢– مجلة المجمع العلمي العربي ١–١١٢/٤ .

٣– الجماهر في معرفة الجواهر ٥٠ .

٤– كذلك ص ٧٩ .

في الخيل ، وصرح عبد الرحمن بن عيسى بان ما ذكره مستعمل في ديوان العرض (١) .

وذكر الثعالبي في فصل عنوانه « في ترتيب السواد على القياس والتقريب » أنواع السواد فقال « أسود وأسحم ، ثم جون وفاحم ، ثم حالك وحانك ، ثم حلكوك ومحكوك ، ثم خداري ودجوجي ثم غربيب وغدافي » وأورد فصلاً آخر « في لواحق السواد » وهي « أخطب ، أغبس ، أغبر ، قاتم ، أصدأ ، أحوى ، أكهب أربد ، أغثر ، أدغم ، أطمس ، أورق ، أخصف » (٢) .

وقال العز :

أسود حالك أهـم لوبي محلنكـك واحلـولك ونـوبي
وغيهب وغيهـم وفاحـم وحالك ومـدلهم قاحـم
كذاك ديجـوري أو غرابي كحنك او حلك الغراب (٣)

اما البيروني فذكر مع الأسود ألواناً عدها قريبة منه ، فقد ذكر « قالوا في الأسود انه النفطي والكحلي ، وهما من أنواع الأكهب (٤) وذكر « البنفسجي الضارب الى الكهوبة » و « اللعل بنفسجي وأكهب وأخضر وأصفر » (٥) وذكر « الأكهب أجوده الطاوسي ثم الاسمانجوني ثم النيـل ثم الآب جون وهو أقرب الى البياض ، ومن أنواعه الكحلي والنفطي وان ضربا الى السواد »(٦) . وقد ذكر ابن منظور ما يوضح اللون الأكهب فقال « الكهبة غبرة مشربة سواداً في

---

١ – انظر عن الاسود وبقية الالوان والتعابير المستعملة لها في الدواوين الثعالبي : فقه اللغة ١٢٢ فما بعد
٢ – فقه اللغة ٧٣–٧٥ .
٣ – مجلة المجمع العلمي العربي ١–٣/٧٨ .
٤ – الجماهر ٧٩ .
٥ – الجماهر ٨٦ .
٦ – الجماهر ٧٥ .

ألوان الابل . . . الجوهري الكهبة لون مثل القهبة ، قال ابو عمرو الكهبة لون ليس بخالص من الحمرة وهو في الحمرة خاصة ، وقال يعقوب الكهبة لون الى الغبرة . . . قال الأزهرى . . . ولعله يستعمل في الوان الثياب . الأزهري قال اين الاعرابي وقيل الكهبة لون الجاموس » (١) .

اما الأخضر فلم يذكر الثعالبي أنواعه ، ولكن العز ذكره فقال .

اخضر مدهام كذاك ناضر وحاني(٢)

وذكر البيروني اصناف الالوان الخضراء فقال ان الكركند (خلوقي وزيتي وفستقي واسما نجوني) (٣) وان « الكركهن منه الخلوقي والزيتي وبوقلمون . . . يوجد فيه كل لون من الخلوقية والصفرة والخضرة السماوية (٤) » « ومن اصناف الكركند والكركهن الأصفر والفستقي والزيتي والخلوقي » (٥) وأن « الياقوت الاخضر ان خير أخضره الزيتي ثم الفستقي ثم ينحط لونه بالتدريج حتى يبلغ البياض » (٦) اما الأصفر فذكر البيروني « الأصفر المختار منه هو المشبع بالصفرة المقارب بالتشبه بالجلنار من الأحمر ، وبعد المشمشي ، ثم الأترجي ، ثم التبني (٧) وذكر « الأصفر الفاتح والخلوقي والجلنار » (٨) ويقول ابن منظور ان الخلوق « تغلب عليه الحمرة والصفرة »(٩) .

١- لسان ٢/٢٢٤ .
٢- مجلة المجمع العلمي . ١-٣
٣- الجماهر ٥٢ .
٤- الجماهر ٧٤-٧٦ .
٥- الجماهر ٧٤-٧٦ .
٦- الجماهر ٧٨ .
٧- الجماهر ٧٤ .
٨- الجماهر ٧٥ .
٩- لسان ١١/٢٧٩ .

ويذكر ان العقيق اليماني لونه « الصفرة الذهبية المشرقة . . . ومنه ما يشرب خضرته حمرة ، المشمشي والرطبي والتمري والكبدي (١) .

اما الأحمر فلم يذكر الثعالبي أنواعه ، ولكنه ذكر الأسماء التي تسمى بها بعض المواد الحمراء اللون ، وأسماء بعض الالوان التي تخالطها الحمرة . (٢)

وقال العز :

أحمر قاني بحراني عضب ذريحي وأرجواني
أسلغ سلفة وقرف مانع وباحري نكع وناصع
قالقرف نصاع فقاعي زاهر (٣)

غير ان ابن منظور والبيروني ذكرا تفاصيل عن أنواع الألوان الحمراء ، فقد ذكر ابن منظور « الأرجوان هو الشديد الحمرة ، ولا يقال لغير الحمرة أرجوان ، والبهرمان دونه بشيء من الحمرة ، والمفدم المشبع حمرة، والمضرج دون المشبع ، ثم المورَّد بعده» (٤) ويقول في موضع آخر« المضرج دون المفدم وبعده المورد » (٥)

وقد قدمت بعض كتب الاحجار معلومات عن أنواع الحمرة ، فيقول الجاحظ « وخير الياقوت البهرماني ثم الأحمر المورد ، ثم الاصفر ، ثم الآسمانجوني (٦)

وذكر البيروني في كلامه عن الياقوت تفاصيل عن اللون الاحمر فقال « ولون الياقوت الأحمر يترتب فيما بين طرفين : أحدهما أقصى الغاية المطلوبة فيه والآخر أقصى الرذالة التي تسقط عندها الرغبة فيه : فأجوده الرماني ثم البهرماني

١- الجماهر ١٧٣

٢- فقه اللغة ١٣٤ .

٣- مجلة المجمع العلمي العربي ١-٣/٨١ .

٤- لسان ٣٢٧/١٤ .

٥- لسان ١٤٦/١٥

٦- التبصر بالتجارة ٩

ثم الأرجواني ثم اللحمي ، ثم الجلناري ، ثم الوردي »(١) ثم يضيف بعدها « وقد قيل في الرماني والبهرماني وأنهما صفتان لموصوف واحد ، إلا أن الأول برسم أهل العراق ، والآخر برسم أهل الجبل وخراسان . وشهد لهذا ترتيب الكندي ألوانه ، فانه جعل البهرماني أعلى درجاته . . . وابتدأ الكندي بالوردي آخذاً من جنبة البياض الى لون الورد ، ووضع الخيري فوقه من الوردية الى ان تبلغ مشابه وردة الخيري ، وفوقه الأحمر الصفري في صبغ العصفر الناصع المشرق التابع للزردج ، ثم البهرمان العصفري الخالص الذي لايشوبه شيءٌ من النشاستج الزردج ، يتفاضل من عند الاحمر الى ان ينتهي الى عند الغاية وهي البهرماني .

وقيل في كتاب مجهول ان خير اليواقيت البهرماني ثم المورد ، وقيل في الأرجواني « انه شديد الحمرة ، فان كان دونه فهو بهرماني والبهرمان هو العصفر ، يقال ثوب مبهرم أي معصفر » (٢) .

ان الانواع التي ذكرنا ماكتبته المصادر الرئيسة عنها تنطبق على مظاهر الطبيعة او الاحجار الكريمة ، ولا ينطبق منها على ألوان الألبسة الا أنواع الألوان الحمراء أما بقية الألوان فقد ذكرت الرئيسة منها ، وقلما يذكر من فروع هذه الالوان في الألبسة غير ألوان الاصباغ التي ولدت من تلك الالوان . ومن المعلوم أن كثيراً من الأصباغ كانت نباتية مألوفة في تلك العهود ثم بطل استعمالها ، الامر الذي يتطلب جهداً لمعرفة تلك الالوان . وقد أوردت في بحثي عن كل لون المعلومات المتوفرة عن مادة الصبغ كالزعفران والعصفر والورس . غير أنني أؤكد أن كثيرا من الألوان لم يذكر منشأ صبغها . ولعل في كتب الكيمياء معلومات أوفى عن

١- الجماهر ٣٣ .

٢- الجماهر ٣٤-٣٥ .

الاصباغ ،وأورد هنا انموذجاً اقتبسته من مختار رسائل جابر بن حيان في الموضوع وارجوان يلفت نظر الباحثين لمعاومات أوسع وأدق في هذا الميدان .

ذكر جابر « قاعدة الأصباغ عندهم النوشادر ، واللون الذي يراد كالصفرة من الزرنيخ والنوشادر . والأخضر من مياه الأوراق الخضر والنوشادر المحلول فيها والابيض من مياه الالوان (البيض والنوشادر)المبيض،وكذلك ان صبغ بغير هذه مما في طبعه أن يصبغ ذلك اللون كأيصال الزرنيخ في الأصفر من الألوان واستعمال الزعفران وما جرى مجراه ، وكذلك في جميع الألوان » (١) .

ويذكر ابن الفقيه في كلامه عن تفليس بارمينية « وبها من الشب المنسوب إليها وهو شب الحمرة المعروف باليماني ، ومنها يحمل الى اليمن وواسط ، ولا ينصبغ الصوف بواسط إلا به ، وهو أقوى من المصري » (٢) ويذكر ابن البيطار « شب ، ديوسقوريدس في الخامسة ، اصنافها كلها او القليل منها توجد في معادن باعيانها بمصر ، وقد يكون في مواضع أخرى » (٣) .

ويختلف اللون الواحد في مدى تشبعه بالصبغ . وقد أورد اللغويون نصوصاً عما يتعلق بالعصفر والزعفران من ذلك ، فينقل ابن سيدة عن ابي حنيفة الدينوري « ثوب مجسد إذا اكثر فيه الزعفران حتى يجف فيقوم قياماً ، ومنه يقال للدم جاسد » (٤) ويقول ابن منظور « والثوب المجسد هو المشبع عصفراً أو زعفراناً والمجسد الاحمر ، يقال على فلان ثوب مشبع من الصبغ وعليه ثوب مفدم ، فاذا قام قياماً من الصبغ قيل قد اجسد ثوب فلان اجساداً فهو مجسد . . . والجسد

١- مختار رسائل جابر بن حيان ٣٦١ .
٢- مختصر كتاب البلدان ١٨٥
٣- جامع الادوية المفردة ٥٣/٣ .
٤- المخصص ٢١١/١١ .

ما اشبع صبغه من الثياب » (١) ويذكر ابن سيدة « وثوب مفروك بالزعفران وغيره إذا صبغ به صبغاً شديداً » (٢) .

ومن هذا يتبين أن الثوب اذا كثف صبغه يقال له مشبع ،أو مجسد ، او مفروك

والوان الثياب تكون إما بسبب نسجها من مواد أولية ملونة ، أو بسبب صباغها . ومن المعلوم‌ان بعض‌مواد النسيج ملونة بطبيعتها ، فالقطن قد يكون أبيض‌أو وبرياً ،والصوف قد يكون ابيض أو عسلياً او مائلاً الى الحمرة أو السواد ، ومن الطبيعي ان النسيج يتلون بلون المادة التي نسج منها .

أما الثوب المصبوغ ، فقد يتم صبغه بعد نسجه أو بعد خياطته ، أو قد يتم بصبغ الخيوط التي ينسج منها . فأما الصنف الاول فقد أشارت اليه كتب الفقه في معرض الحكم على المشاكل القانونية التي قد تنجم بين اصحاب السلعة والصباغين ، كأن يخطيء الصباغ فيصبغه بغير اللون المطلوب ، أو بتشبع خفيف أو بمواد غير المتفق عليها ، أو في عدم المحافظة على النقاء عند الصبغ أو تخفيفه وقد جاء في المدونة « قلت أرأيت إن اشتريت ثوباً صبغته بعصفر أو بسواد أو بزعفران أو بورس أو بمشق أو بخضرة أو بغير ذلك من الصبغ فزاد الثوب الصبغ خيراً أو نقص ، فأصبت به عيباً دلسه لي البائع »(٣) . . .

وبعض الثياب يصبغ غزلها ، ثم تنسج من الغزل المصبوغ ، وقد أشارت الكتب الى بعض أنواع هذه المنسوجات فيقول الشافعي « وأحب ما يلبس اليّ البياض ، فان جاوزه بعصب اليمن والقطري وما أشبه ، مما يصبغ غزله ولا يصبغ بعد ما ينسج ، فحسن » (٤) وقد ألمح مالك إلى تميز صبغ عصب اليمن ، فقد

١- لسان ٩٢/٤ .

٢- المخصص ٢١١/١١ .

٣- المدونة ١٦٩/١٠ .

٤- الأم ١٧٤/١ .

جاء في المدونة « قلت فهل كان مالك يرى عصب اليمن بمنزلة هذا المصبوغ بالدكنة والحمرة والخضرة والصفرة ، ام يجعل عصب اليمن بمنزلة هذه الثياب المصبغة ، واما غليظ عصب اليمن فان مالكاً وسع فيه ولم يره بمنزلة المصبوغ . (١)

فأما العصب فقد تردد ذكره في مختلف المصادر ، وأشار بعضها إلى صبغه ، فيقول ابن منظور « والعصب ضرب من برود اليمن ، سمى عصباً لان غزله يعصب ، أى يدرج ، ثم يصبغ ويحاك ، وليس من برود الرقم . . .ومنه قيل للسحاب كاللطخ عصب ، وفي الحديث : المعتدة لاتلبس الثياب المصبغة إلا ثوب عصب. : العصب برود يمنية يعصب غزلها ، أى يجمع ويشد ثم يصبغ وينسج فيأتي موشياً لبقاء ماعصب منه أبيض لم يأخذه صبغ وقيل هي برود مخططة ، والعصب الفتل ، والعصّاب الغزّال . فيكون النهي للمعتدة عمـــا صبغ بعد النسيج وفي حديث عمر (رض) أنه أراد ان ينهى عن عصب اليمن ، قال نبئت انه يصبغ بالبول . . . » (٢)

ويطلق العصب على عدة منسوجات اشهرها الحبرة فيذكر مالك « العصب هو الحبر وما أشبهه » (٣) ويروي السمهودى أن عبد الرحمن بن عوف « دفن عليه ثوب حبرة من العصب » (٤) وقد جاء في الحديث « كان أحب الثياب الى رسول الله (ص) يلبسها الحبرة » (٥) .

ويذكر وضاح اليمن ما يدل على أن من العصب ايضاً الثياب الجندية فهو يقول :

١- المدونة ٥/١١٣ .

٢- لسان ٢/٩٢ وانظر عن اباحة صبغ العصب في الاحاديث التي وردت في كتب الصحاح : فنسنك . مادة (عصب) وانظر ما كتبناه في مجلة الابحاث « الانسجة في القرنين الاول والثاني » ص ٥٦٤-٥ (سنة ١٩٦٢) .

٣- المدونة ١/١٨٨ .

٤- وفاء الوفا ٢/٨٩ .

٥- البخاري لباس ١٨ الترمذي لباس ٤٥ ، وانظر مقالنا عن الانسجه ٥٦٢-٣ .

وتلبس من بز العراق منــاصفاً وابراد عصب من مهلهلة الجند(١)

والعصب من المنسوجات الغالية فيروى عن معاذ أنه قال « شر النساء اذا تحلين بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن ، فاتعبن الغني وكلفن الفقير ما لايجد » (٢) .

والعصب لم يكن يصنع الا في اليمن فيقول الاصمعي « أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لاتكون الا باليمن ، الورس والكندر والخطر والعصب » (٣) ويقول المقدسي « اليمن معدن العصائب » (٤) ويتبين مما ذكره ابن منظور .

١ـ أن العصب يصبغ غزله قبل حياكته .

٢ أن طريقة صبغه هي ان يدرج (اي يلف ويشد) .

٣ـ أن كل خيط من خيوط نسيجه يكون مبقعاً ، أي أن بعضه مصبوغ وبعضه أبيض .

٤ـ الثوب المنسوج بالعصب يكون ذا ألوان متعددة ، أي كالموشّى وقد يكون مخططاً .

٥ـ ان اصباغه خاصة ، ويقال انه يدخل فيه البول (النوشادر ؟) .

٦ـ انه يقابل برود الرقم .

ويضاف الى خصائصه مما ذكرته النصوص الاخرى .

٧ـ بعض العصب غليظ وبعضه رقيق .

٨ـ العصب انواع ، منه الحبرة ، والجندية .

١ـ الاغاني ٢٣٦/٦ .
٢ـ عيون الاخبار ١١٤/٤ .
٣ـ كذلك ١٠٩/٢ وانظر جامع الادوية المفردة ٨٣/٤، ١٩١ .
٤ـ أحسن التقاسيم ٩٨ .

٩ـ الثياب القطرية تصبغ على نفس الطريقة .

١٠ـ العصب من الثياب الغالية الثمن ومن لباس الارستقراطية .

١١ـ ان اليمن كانت تحتكر صناعة العصب حتى أواخر القرن الرابع على الأقل . غير أن الكليني يذكر ما يدل على ان صناعتها كانت تقلد في البصرة فهو يروى عن يسند عن الحسن بن راشد أنه سأل جعفر بن الصادق عن ثياب تعمل بالبصرة على عمل العصب اليماني من قزوقطن هل يصلح أن يكفن فيها الموتى : قال إذا كان القطن أكثر من القز فلا بأس » (١) .

لم تذكر المصادر أصباغ وألوان العصب ، غير أن غلاء أثمانه واقتصار صنعه على اليمن قد يدل على أن ألوانه المتعددة تظهر منسجمة ترتاح اليها النفوس الأرستقراطية التي تلبسه ؛ وهذا يتطلب مهارة فائقة في الحياكة ، ولعل هذه المهارة ، وأسرار الاصباغ المستعملة فيه هي التي مكنت أهل اليمن من احتكار صناعته . وقد وردت في الكتب اشارة الى بعض ثياب اليمن التي تصبغ بالبول (٢)

لقد ذكرنا أن وضاح اليمن ذكر في إحدى قصائده « أبراد عصب من مهلهلة الجند » وقد ورد في بيت لعمر بن ابي ربيعة ما يشير الى طريقة تكوين الجندية حيث يقول .

شف عنها محقق جنـــدى فهي كالشمس من خــلال السحاب

ويقول الاصبهاني الذي روى هذا البيت « الثوب المحقق هو الوشي على صورة الحقق » (٣) .

١ـ الكافي ٣/١٤٩ .

٢ـ انظر البخاري : صلاة ٧ ؛ ابن حنبل ٥/١٤٣ .

٣ـ الاغاني ١/٢٤٠ وانظر لسان ١١/٣٤ .

ويقول ابن منظور « ثوب محقق عليه وشي على صورة الحقق »، كما يقال برد مرجل وثوب محقق ويقول عن الحقق « حقاق الشجر صغارها شبهت بحقاق الابل . . والحقة هذا المنحوت من الخشب والساج وغير ذلك . . قال رؤبة « سوى مساحيهن تقطيط الحقق » .وصف حوافر حمر الوحش ، أي أن الحجارة سوت حوافرها كأنما قططت تقطيط الحقق » (١) .

ولا ريب في أن كثيراً من المنسوجات والثياب ذات ألوان متعددة بأشكال مختلفة ، وهذه الألوان والأشكال قد تكون في أصل المنسوج بسبب تنوع ألوان خيوط النسيج ، أو تد تكون مطبوعة ومنقوشة عليها بعد انجاز نسجها ، ويسمى هذا النوع الاخير الوشي . وقد تردد ذكر الوشي في المصادر التي ذكر بعضها انواعاً من الوشي كما ذكر بعضها اشكال النقوش ، وكلاهما يرتبط بالنقش وليس بنوع القماش . والواقع ان المادة التي بين ايدينا لاتكفي للتمييز بدقة بينهما . وسنذكرها فيمايلي مؤملين أن تتوفر في المستقبل مادة أوفر نتمكن بها من التحقق من الفرق بينهما

يذكر ابن منظور عن الجوهرى ان الوشي من الثياب معروف وعن ابن سيدة أنه يكون من كل لون ، وأن الوشي في الاون خلط لون بلون (٢) وهذا التعريف بالطبع لايستلزم أن يكون الوشي مرادفاً لما يسمى البرودرى اليوم ، فقد يكون الخلط في أصل الحياكة أو في طبع القماش بصبغ على سمات خاصة .

وقد ميز الشافعي بين الثياب الملونة بالوشي وغيره فقال في باب السلف من الثياب حيث يجب أن تحدد أحوالها بدقة « إن كان وشياً نسبه يوسفياً أو نجرانياً أو فارعاً أو باسمه الذي يعرف به ، وان كان غير وشى من العصب وما أشبه وصفه ثوب حبرة » ويقول أيضاً « هكذا هذا في الثياب يقال هذا من وشي صنعاء والوشي الذي

١- لسان ٢٤٠/١١ .

٢- لسان ٢٧١/١٩ .

يقال له اليوسفي » (١) وقد ذكر الجاحظ أصناف الوشي فقال « وخير الوشي الثوب السابري ؛ ،والكوفي ، والابريسمي ، والمذهب المنسوج ، ثم الوشي الاسكندراني البحت، ثم المنسوج بالذهب ثم الوشي الغزلي، ثم الذي لا ابريسم فيه ولا ذهب وهو اليماني لانه يرتفع على هذا السبيل من الغزلي . والابريسمي الكتان لايبلغ في الثمن ما يبلغه اليماني ، لانه ربما بلغ الثوب الغزلي الف دينار (٢)

ويتبين من كلام الجاحظ ان الوشي عرفت به عدة اماكن منها سابور ، والكوفة ، والاسكندرية . والواقع أن المصادر ذكرت وشي العراق فقد ذكر الاصبهاني « ثياب من وشى وخز العراق » (٣) وقال حميد بن ثور .

تخيرت إمـا أرجوانياً مهـذبـاً ... وإما سجلاط العراق المختّمـا

وقد عرّفت بعض الكتب السجلاط بأنها « ثياب موشاة كأن وشيه خاتم » (٤)

غير أن أشهر الاقاليم التي عرفت بالوشي هي اليمن ، فبالاضافة الى اشارات الشافعي والجاحظ التي ذكرناها أعلاه يذكر الاصبهاني عن عمر بن ابي ربيعة «عليه حلة موشية يمانية»(٥) ويذكر أن الفرزدق«طلع في حلة أفواف يمانية موشاة » (٦) .

ويلاحظ أن اليمن هي التي اشتهرت بالوشي وهي التي احتكرت العصب ، فيقول الثعالبي « يقال وشي اليمن وعصب اليمن ، ويضرب بها المثل في الحسن وتشبه بالرياض والالفاظ ، ويقال من نفائس الملابس برود اليمن » (٧) . ولعل

١– الام ١٠٨/٣ .
٢– التبصر بالتجارة ٢١ .
٣– الاغاني ٢٤٤/٩ .
٤– لسان ١٨٤/٩ المعرب للجواليقي ٨٢ .
٥– الاغاني ٩٩/١ .
٦– الاغاني ٣٣٨/٩ وانظر ايضاً ٢٥٩/٨ .
٧– ثمار القلوب ٥٣٤ .

اشتهار اليمن بالوشى والعصب ، واتفاقهما بالنقوش ، كان من أسباب الخلط بين الزخارف الناجمة عن التطريز (البرودري) والزخارف التي من الاصباغ ، هذا بالاضافة الى غلاء ثمن كليهما . وان بعض ما تذكر المصادر الأدبية أنه وشي ، هو في الحقيقة اصباغ منوعة للثوب ، ولذلك اوردته في هذا المقال . ويلاحظ أن ابن البيطار يقول « البرود وهي العصب » (١) ويقول الليث « البرد معروف من برود العصب والوشي » (٢) ويقول ايضاً « الفوف ضرب من عصب البرود » (٣) .

لقد ذكر الوشي في بعض النصوص مجرداً وغير مقترن بأي نسيج فيروي المغني ابن سريج « دعاني فتية من بني مروان ، فدخلت اليهم وأنا في ثياب الحجاز الغلاظ الجافية ، وهم في القوهي والوشي يرفلون كأنهم الدنانير الهرقلية » (٤) .

وتردد في المصادر ذكره مقروناً بالحلل ، فذكر الاصبهاني انه كان « على الوليد ابن يزيد حلة وشي » (٥) و « على الفرزدق حلة افواف يمانية موشاة » (٦) وأن عمر بن أبي ربيعة « كان يلبس تلك الحلل من الوشي » (٧) .

وذكرت المصادر أيضاً مقطعات الوشي ، فذكر الاصبهاني أنه كان للنصيب مقطعات وشي (٨) وذكر ابن سعد أنه « كان أبو وائل يلبس مقطعات اليمنه » (٩)

١- جامع الادوية المفردة ٨٣/٤، ١٩١ .
٢- لسان ٥٤/٤ .
٣- لسان ١٨٠/١١ .
٤- الاغاني ٣١٠/١٣ .
٥- الاغاني ٣٠٨/٣ .
٦- الاغاني ٢٨٨/٩ .
٧- الاغاني ٨٦/١ .
٨- الاغاني ٣٣٨/١ .
٩- ابن سعد ٦٨/٦ .

وينقل ابن منظور عن ابي الهيثم ان « القطع ضرب من الثياب الموشاة ، والجمع قطوع . والمقطعات برود عليها وشي مقطع » (١) .

وورد في المصادر البسة متعددة موشاة ، فقد ذكر الاصبهاني انه كانت على الوليد بن يزيد قلنسوة وشى مذهبة (٢) وأنه كان عليه جبه وشي ، ورداء ، وخف وشى (٣) ، وأن النصيب دخل على عبد العزيز بن مروان في جبة وشي (٤) .

ويبدو أن اكثر اشكال التلوين شيوعاً هـو المخطط ، وهـذا يتجلى في البرود ، فيقول ابن منظور « قال ابن سيده : البرد ثوب فيه خطوط ، وخص بعضهم به الوشي . . . والبردة هي الشملة المخططة قال الليث « البرد معروف من برود العصب والوشي » (٥) .

وقد ذكرت المصادر عدة انواع من البرود المخططة منها الحبير وقد عرفه ابن منظور « الحبير من البرود ماكان موشياً مخططاً » (٦) ومنها الأتحمي وهو « ضرب من البرود . . . ويقال تحمت الثوب إذا وشيته ، وروى عن الفراء : «التحمة البرود المخططة بالصفرة » (٧) وفي ديوان الهذليين « الاتحمى برود يمانية فيها خطوط حمر » (٨) ويذكر ابن منظور « البرود المذهب هو ارفع الأتحمى (٩) والبرود التزيدية « بها خطوط حمر » (١٠) والرقم هو « ضرب من البرود . . . والرقم

١ – لسان ١٥٦/١٠ .
٢ – الاغاني ٩١/٧ .
٣ – الاغاني ٢٨١/٦ .
٤ – الاغاني ٩٩/١ .
٥ – لسان ٥٤/٤ .
٦ – لسان ٢٣٠/٥ .
٧ – لسان ٣٣٠/١٤ .
٨ – ديوان الهذليين ١٤٦/٢ .
٩ – لسان ٣٨٠/٢ ، ٣٣/١٢ .
١٠– لسان ١٨٤/٥ المحيط ٢٩٩/١ وانظر ديوان الهذليين ١٠/١ .

ضرب مخطط من الوشي ، وقيل من الخز ، وفي الحديث أتى فاطمة فوجد على بابها ستر موشى فقال مالنا والدنيا والرقم ، يريد النقش والوشي ، والاصل فيه الكتاب ، ورقم الثوب يرقمه خططه » (١) .

ومن المعلوم أن اليمن اشتهرت بالبرود ، فيذكر الجاحظ ان « من خصائص اليمن السيوف والبرود » (٢) ويذكر الثعالبي برود اليمن (٣) ، كما يذكر « ويقال في نفائس الملابس برود اليمن » (٤) .

غير أن صنع البرود انتشرت فيما بعد في اماكن اخرى ، فيذكر الثعالبي « والرى موصوفة كبرود اليمن ، ويقال لها العدنيات تشبيهاً لها ببرود عدن » (٥)

وقد استعمل العرب منسوجات أخرى مخططة ، ومنها الثياب القطرية التي ذكرنا مما يعصب غزله ويصبغ ثم يحاك .

ومن الالبسة المخططة الفوط وهي « أزر مخططة يشتريها الحمالون والخدم ويتزرون بها بالكوفة » (٦) .

ومن ذلك البرجد الذي يذكر عنه ابن منظور انه « كساء من صوف أحمر وقيل البرجد كساء غليظ ، وقيل البرجد كساء مخطط ضخم يصلح للخباء » (٧)

وقد ذكرت المصادر منسوجات وثياباً فيها نقوش وتصاوير . وقد ذكر الثعالبي عدداً من نقوش الثياب فقال .

١ — لسان ١٤٥/١٥ .

٢ — التبصر بالتجارة ٢٢ وانظر لطائف المعارف ١٦٦ .

٣ — لطائف المعارف ٢٣ .

٤ — ثمار القلوب ٥٣٤ .

٥ — ثمار القلوب ٥٣٤ .

٦ — لسان ٢٤٨/٩ .

٧ — لسان ٥٦/٤ .

« اذا كان (الثوب) في وشيه ترابيع صغار تشبه عيون الوحش فهو معين ، فاذا كان مخططاً فهو معضّد ومشطب .

فاذا كان فيه طرائق فهو مُسَيَّر .

فاذا كانت خطوطه كالسهام فهو مُسَهَّم .

فاذا كانت تشبه العمد فهو مُعَمَّد .

فاذا كانت فيه نقوش وصور كالأهلة فهو مهلّل .

فاذا كان موشى بأشكال الكعاب فهو مكعّب .

فاذا كان فيه كالفلوس فهو مفلّس .

فاذا كان فيه صور الطيور فهو مُطَيَّر .

فاذا كان فيه صور الخيل فهو مخيل (١) .

وقد نقل ابن منظور ماذكره الثعالبي عن المفلس (٢) والمعين (٣) وقال عن المطير انه ضرب من البرود (٤) ، وذكر تفاصيل أوفي عن نقوش بعض الثياب المذكورة أعلاه .

فأما عن المعضد فقال «ثوب معضد مخطط على اشكال العضد وقال اللحياني هو الذي وشيه في جوانبه ، والمعضد الثوب الذي له علم في موضع العضد من لابسه » (٥) .

وقال عن المشطب « شطبه السعف الاخضر الرطب من جريد النخل ، وفي حديث زرع مسبل شطب ، قال ابو عبيد : الشطبة ماشطب من جريد النخل

١- فقه اللغة ٢٤١ .

٢- لسان ٨/٤٧ .

٣- لسان ١٧/١٧٧ .

٤- لسان ٦/١٨٦

٥- لسان ٤/١٨٤

وهو سعفه،شبهته بتلك الشطبة لنعمته واعتدال شبابه ، وقيل أرادت أنه مهزول كأنه سعفة في دقتها . . وقال ابو سعيد : الشطبة السيف . . . وثوب مشطب فيه طرائق » (١) ويقول عن الطرائق انه « أخدود من الأرض أو ستقة ثوب أو موشى ملزق بعضه ببعض فهو طريقة . . . طرائق نسيجة تنسج من صوف أو شعر عرضها عظم الذراع وأقل،وطولها أربع أذرع أو ثمان أذرع على قدر رؤوس العمد » (٢) .

ويقول ابن منظور عن المسير « ثوب مسير وشيه مثل السيور ، وفي التهذيب اذا كان مخططاً ، وسَيّر الثوب والسهم جعل فيه خطوطاً ، وعقاب مُسَيّرة مخططة .

والسيراء ضرب من البرود ، وقيل هو ثوب مسير فيه خطوط تعمل من القز كالسيور وقيل برود يخالطها حرير . . وقيل هي ثياب من ثياب اليمن . . .الجوهري: « السيراء . برد فيه خطوط صفر . . قال ابن الاثير هو نوع من البرود يخالطه حرير كالسيور . . .حلة مسيرة أي فيها خطوط من إبريسم كالسيور » ويتبين من هذا الكلام أن الثوب المسير هو من البرود اليمانية ، وأن فيه خيوطاً من القز والابريسم صفراء كالسيور . (٣) .

اما المفوف فذكر عنه ابن منظور مايلي : الجوهري : الفوف الحبة البيضاء في باطن النواة التي تنبت منها النخلة . . والفوف القشرة التي على حبة القلب أو النواة دون لحمة التمرة وكل قشرة فوف .

١- لسان ٢٧٨/١

٢- لسان ٩١/١٢

٣- لسان ٥٧/٦

التهذيب : ابن الاعرابي : الفوفة القشرة الرقيقة تكون على النواة . . . والفوف ضرب من برود اليمن .

وفي حديث عثمان خرج وعليه حلة أفواف ، الأفواف جمع فوف ، وهو القطن وواحدة الفوف فوفة ، وهي في الاصل القشرة التي على النواة ، يقال برد أفواف وحلة أفواف بالأضافة .الليث : الأفواف ضرب من عصب البرود .

ابن الأعرابي : الفوف ثياب رقاق من ثياب اليمن موشاة ، وهو الفوف وبرد مفوف أي رقيق : الجوهرى : الفوف قطع القطن . . . وبرد أفواف ومفوف بياض وخطوط بيض . . . وقول ابن احمر «والفوف تنسجه الدبور واثلال ملمقة» الثرى سقر الفوف الزهر ، شبهه بالفوف من الثياب (١) .

ويتبين من كلام ابن منظور أن الأفواف هي من البرود ، أو من العصب ، تنسج من القطن وهي بيضاء ، وفيها خطوط .

اما عن المسهم فذكر ابن منظور .«المسهم البرد المخطط . قال ابن بري : ومنه قول أوس :

فانا رأينا العرض أحوج ساعة الى الصون من ريط يمان مسهم

وفي حديث جابر أنه (ص) كان يصلي في برد مسهم ، أى مخطط فيه وشي كالسهم . وبرد مسهم مخطط على شكل السهام . وقال اللحياني انما ذلك لوشي فيه . قال ذو الرمة يصف داراً :

كأنها بعد احوال مضين لها بالاشمين يمان فيه تَسَهّم (٢)

ويظهر من هذا الكلام أن المسهم برد مخطط بخطوط مقطعة كالسهام .

١- لسان ١١/١٨٠-١٨١ .

٢- لسان ١٥/٢٠٠ .

ويذكر ابن منظور عن المكعب « . . . ثوب مكعب مطوي شديد الأدراج في تربيع ، ومنهم من لم يقيده بالتربيع ، يقال كعبت الثوب تكعيباً .

وقال اللحياني برد معب فيه وشي مربع ، والمكعب الموشى ، ومنهم في خصص فقال من الثياب » (١) .

وقد ذكرت المصادر ثياباً فيها تصاوير ، فروى مالك ابن انس ان أبا طلحة الأنصاري نزع غطاء من تحت سهل بن حنيف لأن فيه تصاوير ، وكان الرسول نهى عن استعمال مافيه تصاوير ، فاعترض سهل وقال «ألم يقل رسول الله (ص) إلا ماكان رقماً في ثوب ، قال بلى ولكنه أطيب لنفسي » (٢) ويذكر ابن سعد أن عروة كان يلبس الطليسان المزرر بالديباج فيه وجوه الرجال وهو محرم لايزرره عليه (٣) .

كما ان السجلاط هي « ثياب كتان موشية كأن وشيه الخاتم (٤) » والقسية هي ثياب » مضلعة فيها حرير امثال الاترج» (٥) . ويقول ابن منظور « ثياب مضلعة مخططة على شكل الضلع (٦) .

قال اللحياني هو الموشى ، وقيل المضلع من الثياب المسيّر، وقيل هو المختلف النسيج الرقيق وقال ابن شميل: المضلع الثوب الذي قد نسج بعضه وترك بعضه وقيل برد مضلع اذا كانت خطوطه عريضة كالأضلاع ، وتضليع الثوب جعل وشيه على هيئة الاضلاع . . . وفي الحديث أنه أهدي له (ص) ثوب سيراء مضلع بقز ، والمضلع الذي فيه سيور وخطوط من ابريسم او غيره شبه الاضلاع .

١- لسان ٢/١١٣ .

٢- الموطأ ٢/٢٤١

٣- ابن سعد ٥/١٣٤ .

٤- لسان ٩/١٨٣، ١٧/٦٤ المعرب ٨٢ .

٥- ابن حنبل ١/١٣٤ .

٦- لسان ١٧/٦٤ .

وفي حديث على«وقيل له ما القسية ، قال ثياب مضلعة فيها حرير ، أى بها خطوط عريضة كالاضلاع » (١) .

ان المعلومات التي ذكرناها آنفاً تظهر ان كثيراً من المنسوجات والثياب، وخاصة البرود كانت منقوشة باشكال متعددة ، ولكن يغلب عليها ان تكون مخططة بدليل كثرة البرود التي وصفت بانها مخططة ، اما الاشكال الاخرى من النقوش فكانت متعددة ولكنها قليلة ، ولم توضح المصادر بدقة الزخارف المطرزة او التي كانت في اصل الحياكة . ويبدو لي ان اغلب النقوش والخطوط هي في اصل الحياكة .

ثم ان المصادر لم تذكر نوعية الخطوط في الاقمشة ، اي فيما اذا كانت عريضة ام دقيقة افقية ام عمودية ، أو شاملة لكل الثوب ام مقصورة على جزء منه ، كما انها قلما تذكر الوان الخطوط او خلفيتها . ويلاحظ ان البرود كانت من البسة الترف الغالية ، والراجح انها لم تكن شائعة بين الفقراء .

اما الصباغون فلم اجد في خطط المدينة ومكة والبصرة والكوفة سوقاً لهم او مكاناً خاصاً بهم فيها ، ولم اجد الا ماذكره البلاذرى من أن سليمان بن عبد الملك احدث الرملة ومصرها « وكان اول مابنى فيها قصره والدار التي تعرف بدار الصباغين وجعل في الدار صهريجاً متوسطاً فيها » (٢) .

ويقول الجاحظ « ولا تجد اليهودي الا صباغاً او دباغاً او حجاماً او شعاباً فلما رات العوام اليهود والنصارى كذلك توهمت ان دين اليهود في الديانات

١- لسان ١٠/٩٧ .

٢- فتوح البلدان ١٤٢

كصناعتهم في الصناعات » (١) ويفهم من هذا النص ان حرفة الصباغةلم تكن محترمة ، وان اليهود كانوا يكثرون من احترافها . وكلام الجاحظ هذا ينطبق على عصره وفي العراق خاصة ، غير انه توجد اشارات في بعض الكتب تدل على ان اليهود كانوا يشتغلون بالصباغة في ازمنة وامكنة اخرى ، فالجاحظ يقول « وزعم ان القرمز حشيشة تكون في اصلها دودة حمراء تنبت في ثلاثة مواضع في ناحية المغرب بارض الاندلس ، وفي رستاق يقال له تارم ، وفي أرض فارس ولا يعرف هذه الحشيشة وأماكنها الا فرقة من اليهود يتولون قلعها كل سنة في ماه اسفندارو ز » (٢) .

ويذكر ابن العبرى انه لم يرتفع في العالم الاسلامي يهودي الى اكثر من ان يكون دباغاً او صباغاً . ولعل سيطرة اليهود في الصباغة ترجع الى عهود قديمة وأماكن أعم ، وان من بعض عواملها تنظيماتهم التي تمكنهم من السيطرة على الاصباغ من منابعها المنتجة (٣) .

• • •

صالح احمد العلي

١— الرد على النصارى ضمن ثلاث رسائل للجاحظ ١٧ .

٢— التبصر بالتجارة ١٩ .

٣— تاريخ ابن العبري ٤٩/١ المترجم عن السريانية .

مجلة المجمع العلمي العراقي

فهرس المجلد السادس والعشرين



المجلد السادس والعشرون



مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

الوان الملابس العربية في العهود الاسلامية الأولى

(٢)

الدكتور
صالح احمد العلي

اللون الابيض

في النصوص كثير من الاشارات الى اطراء اللون الابيض والى كثرة استعماله وتميز بعض الانسجة به ، فيروى ان الرسول قال « البسوا من ثيابكم البيض » وقال «خير ثيابكم البياض» وفي بعض الاحاديث « البسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم(١)»ويقول الشافعي« وأحب مايلبس الي البياض ، فان جاوزه بعصب اليمن والقطري وما اشبهه مما يلبس غزله ولايصبغ بعد ماينسج فحسن (٢) » ويقول النجاشي «افضل الملابس هي البياض وعصب اليمن(٣)» وقد وردت عدة احاديث

(١) ابن سعد ١ -٢/١٤١ مسند الشافعي ٢٠٧/١ وانظر عن مواضع ورود هذه الأحاديث في الصحاح : فنسنك : المعجم المفهرس . مادة (ابيض) ومما يجدر ذكره هنا ماقاله الجاحظ عن الساسانيين « ومن قوانين الملك ان يكون منديل غمره كنديل وجهه من النقاء والبياض (التاج ١٧ .

(٢) الام ١٧٤/١ (٣) البركة في فضل السعي والحركة ٤٩ .

تذكر أن الرسول (ص) كان يلبس الثياب البيضاء ، وانه « دخل مكة يوم الفتح ولواؤه ابيض وانه « كفن في ثلاثة اثواب بيض سحولية » كما ذكرت بعض الاحاديث ان الزبير كسا الرسول وابا بكر ثيابا بيضاً » وانه كان « على عمر قميص ابيض » ويروي البخاري « سمى الحواريون لبياض ثيابهم » ويقول « اني لاحب ان انظر الى القارئ ابيض الثياب » (١) .

ويبدو ان اللون الابيض كان اكثر الالوان شيوعاً في البسة الراس ، وكان من علامة النبل فيروي الكليني ان جعفر الصادق قال « اتخذ لي قلنسوة ولاتجعلها مصبغة فان السيد مثلي لايلبسها (٢) » .

ذكر ابن سعد عددا من الصحابة والتابعين من الحجاز خاصة كانوا يلبسون عمائم بيضاء . وممن ذكرهم عبد الله بن عمر (٣) وسالم مولى عمر (٤) وعلي بن الحسين (٥) وابو هريرة (٦) وسعيد بن المسيب (٧) (وخارجة بن زيد (٨) والقاسم بن محمد (٩) ونافع بن جبير (١٠) ومحمد النفس الزكية (١١) والفرزدق (١٢) والسيد الحميري . (١٣) كما لبسها سعيد بن جبير (١٤) ، والشعبي (١٥)

وقد ذكر ابن سعد ايضاً انه كانت للامام علي قلنسوة بيضاء مصرية (مضربة ؟) (١٦) كما ذكر قلنسوة بيضاء كان يلبسها عبد الله بن عبد الله (١٧) والقاسم بن محمد (١٨) وسعد بن عبد الله (١٩) وسالم (٢٠) وعلي بن الحسين (٢١) وعبد الله (٢٢) ويذكر الكليني ان الرسول (ص) يلبس قلنسوة بيضاء (٢٣) اما الجباب البيض فقد

---

(١) انظر مواضع ورود هذه الأحاديث في كتب الصحاح : فنسنك : مادة (أبيض) .
(٢) الكافي ٤٦٢/٦
(٣) ابن سعد ١٥٢/٥ .
(٤) ابن سعد ١٤٦/٥
(٥) ابن سعد ١٦١/٥ .
(٦) ابن سعد ٤-٥٨/٢
(٧) ابن سعد ١٠٢/٥ .
(٨) ابن سعد ١٩٤/٥
(٩) ابن سعد ١٤٢/٥-٣ .
(١٠) ابن سعد ١٥٢/٥
(١١) ابن سعد ١٨٦/٦ .
(١٢) ابن سعد ١٧٦/٦ .
(١٣) الطبري ٢٢٤/٣ .
(١٤) الأغاني ٥١/١٩ .
(١٥) الأغاني ٢٥٠/٧ .
(١٦) ابن سعد ٣-١ / ١٩ .
(١٧) ابن سعد ١٥٠/٥ .
(١٨) ابن سعد ١٤٢/٥ .
(١٩) ابن سعد ١٥٢/٥ .
(٢٠) ابن سعد ١٤٦/٥ .
(٢١) ابن سعد ١٦١/٥ .
(٢٢) ابن سعد ١٤٦/٥ .
(٢٣) الكافي ٤٦١/٦ - ٢ .

ذكر ان عكرمة كان يلبسها(١) وكان محمد النفس الزكية يلبس قميصاً ابيض(٢) وكان نافع بن جبير لايلبس الا البياض (٣) وكان الرداء الابيض من خصائص المسلمين ، فيروى الجاحظ ان اسد بن هاني ، وهو طبيب مسلم لم يلق نجاحاً ومن اسباب ذلك انه كان عليه رداء قطن ابيض وكان ينبغي ان يكون رداؤه حريراً اسود (٤) .

وقد تردد في الملبوسات ذكر الرياط البيض ، فقال الازهري « لاتكون الريطة الا بيضاء (٥) » وروى ابن حنبل حديثاً جاء فيه « اما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء » (٦) وفي حديث اخر « . . . فيوتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة » (٧) ونقل ابن منظور بيتاً اشار فيه الى ذلك :

لامهل حتى تلحقي بعنس ... اهل الرياط البيض والقلس(٧)

وقد اشتهرت بعض المنسوجات باللون الابيض ، فقد ذكر ابن سعد « البرود الغالية البيض » التي كان يلبسها سعيد بن المسيب (٩) ، وقد اشار حسان بن ثابت الى البرود البيض .

الدار واسطة والنخل شارعة ... والبيض يرفلن في العشى كالبرد(١٠)

البرد ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشى . وثوب ابرد فيه « لمع سواد وبياض يمانية . الليث : البرد معروف من برد العصب والوشى(١١) كما ذكرت الثياب البيض السحولية (١٢) ووردت احاديث كثيرة تذكر ان الرسول (ص) «كفن في ثياب سحولية بيض » (١٣) وكذلك كفن بها ابو بكر (١٤).

ومن المنسوجات البيضاء القبطية وهي « ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر وهي منسوبة الى القبط . . . وقال شمر : القباطي ثياب الى الدقة والرقة والبياض . . وفي حديث اسامة كساني رسول الله (ص) قبطية : القبطية الثوب من ثياب مصر

---

(١) ابن سعد ٥/٢١٥ .
(٢) الطبري ٣/٢٢٤ .
(٣) ابن سعد ٥/١٥٢ .
(٤) البخلاء ٩٠ .
(٥) لسان ٩/١٧٨ .
(٦) ابن حنبل ٤/١٤ .
(٧) ابن حنبل ١/٣٩٨ .
(٨) لسان ٨/٦٤ .
(٩) ابن سعد ٥/٩٩ .
(١٠) اغاني ٤/١٦٠ .
(١١) لسان ٤/٥٣ .
(١٢) لسان ١٣/٢٤٨ ، ديوان الهذليين ٢/١٠ .
(١٣) انظر فنسنك مادة (أبيض) وانظر ابن سعد ٢-٢/٦٣-٦٧ الموطأ ١/١٧٣ .
(١٤) ابن سعد ٣-١/١٤٣ ، ١٤٦ .

رقيقة بيضاء . . . وفي حديث قتل ابن ابي الحقيق : مادلنا عليه الا بياضه في سواد الليل كانه قبطية . . .(١) .

وذكرت من المنسوجات البيض القوهية وهي « ضرب من الثياب بيض . . . قال ذو الرمة : « من القهز والقوهي بيض المقالع ». وانشد ابن برى لنصيب :

سودت فلم املك سوادي وتحته قميص من القوهي بيض بنائقه (٢)

وقال سحيم :

كسيت قميصاً ذا سواد وتحته قميص من القوهي بيض بنائقه (٣)

ومن المنسوجات البيضاء الكرباس (٤) والشرافي (٥) والخرذق (٦) والدخدار (٧) وكذلك بعض ثياب الشام (٨) وكان البياض هو اللون المستحب في لباس الاحرام ، فكان عمر بن الخطاب يقول « وان احسن مايلبس المحرم البياض » (٩) ويقول الشافعي « وأحب مايلبس الي البياض ، فان جاوزه بعصب اليمن والقطري وما اشبهه مما يصبغ غزله ولا يصبغ بعدما ينسج فحسن » (١٠) والشافعي يفضل ان تلبس النساءفي الصلاة البياض ويكره لهن الصبغ لانها تشبه الزينة (١١) .

ويروى ان الخليفة الوليد بن عبد الملك كان يصلي في ثياب بيض نظاف من ثياب ، الخلافة وقد استدل فان فلوتن من هذا ان شعار الامويين كان البياض (١٣) ولكني لم اجد في الكتب اشارة تدل على ان البياض كان شعار الامويين في دولتهم غير انه بعد مقتل مروان وزوال الدولة الاموية اتخذ بعض الثائرين على العباسيين شعاراً لهم البياض ففي سنة ١٣٢ « خلع ابو الوردابا العباس بقنسرين فبيّض وبيّضوا معه » (١٤) كما « خلع حبيب بن مرة المرى وبيّض » « في الجزيرة (١٥) .

---

(١) لسان ٢٤٨/٩ وانظر أيضاً الصحاح ٥٦١/١ .
(٢) لسان ٤٢٩/١٧ .
(٣) أغاني ٢/٢٠ .
(٤) القاموس المحيط ٢٤٥/٢ وفي اللسان ٧٩/٨ ان الكرباس هو القطن .
(٥) لسان ٧٦/١١ .
(٦) المحيط ٢٢٧/٣ .
(٧) لسان ٣٦٤/٥ .
(٨) ابن سعد ٣-١٢٢/١ .
(٩) ابن سعد ٣-١٥٦/١ .
(١٠) الام ١٧٤/١ .
(١١) الام ٢٠٧/١ .
(١٢) الاغاني ١٤١/٦ .
(١٣) السيادة العربية ١٢٥ .
(١٤) الطبري ٥٣/٣ .
(١٥) الطبري ٥٥/٣ .

ويقول ابن منظور « المبيضة فرقة من الثنوية ، وهم اصحاب المقنع ، سموا بذلك لتبييضهم ثيابهم خلافا للمسوّدة من اصحاب الدولة العباسية(١)» .

ويذكر ابن منظور ايضاً « يقال للحرورية المبيضة لان راياتهم في الحروب كانت بيضاء»(٢) غير انه لم يذكر متى بدأ الحرورية يستعملون البياض شعاراً لهم

ولما ثار محمد النفس الزكية كان « عليه قميص ابيض محشو ، وعمامة بيضاء ثم وجه الى مكة فاخذت له وبيّضوا،ووجهاخاه ابراهيم بن عبد الله الى البصرة فاخذها وغلبها وبيّضوا معه (٣) وكان اصحابه يلبسون البياض (٤) وكانوا يدعون المبيّضة . (٥) .

وقد ارسل محمد النفس الزكية ابنه عبد الله الى السند داعياً الى الثورة فاجابه اهلها « فقطع الاعلام البيض والاقبية والقلانس البيض وهيأ لبسه من البياض يصعد فيها الى المنبر (٦) » .

وعندما كان المامون في خراسان بعد مقتل الامين ، حدثت عدة ثورات قام بها العلويون في الكوفة ومكة والبصرة واليمن ، وقد اشارت بعض المصادر الى ان هولاء الثوار كانوا يتخذون البياض شعاراً لهم فقد ذكر الطبري « تبييض اخي ابي السرايا » (٧) وقال الازدي انه في سنة ١٩٩ « دخلت المبيضة مكة في موسم هذه السنة (٨)» وقد صرح الطبري الى ان الذي دخل مكة في تلك السنة هو الحسن الافطسي العلوي اما المطهرالمقدسي فيذكر فمن بيّض ابن طباطبا بالكوفة ، وعلي ابن محمد ومحمد بن سليمان بالبصرة ، وابن الافطس بمكة (٩) .

ويبدو ان البياض اصبح في العصر العباسي شعار العلويين ، فيذكر السمعاني « المبيضة طائفة من الشيعة ولهم لواء خلاف لواء بني العباس فان لواءهم اسود ، يقال لهم المبيضة ، وجماعة منهم بنواحي بخارا الى الساعة يقال لهم سبيل جامكان قيل انهم يسكنون قصر عمير » (١٠) .

---

(١) لسان ٢٩٧/٨ وانظر عن سبيدجا مكان كتاب صديقى عن الحركات الدينية الايرانية ص ١٧٠
(٢) لسان ٢٨٨/٥ .
(٣) الطبري ٢٢٤/٣ .
(٤) الطبري ٢٤٠/٣ .
(٥) الطبري ٢٣٢/٣ ، ٢٩٧ .
(٦) الطبري ٣٦١/٣
(٧) الطبري ١٠١٨/٣ .
(٨) تاريخ الموصل ٣٣٨ .
(٩) البدء والتاريخ ١٠٩/٦–١١٠ .
(١٠) الانساب ٥٠٦ ب .

ويذكر عريب انه في سنة ٢٩٣ « كان القرامطة اظهروا الاعلام البيض» (١) وقد اشتبك الداعي العلوي في سنة ٢٨٧ مع العباسيين « فكانت وقعة و كانت للمبيضة على المسودة » (٢) وعندما كان المتقى في الرقة استدعى رجلا عالماً بالاخبار « فقال للرجل ماتحفظ من اشعار المبيضة واخبارها ، فمرالرجل في اخبار آل ابي طالب الى ان صار الى اخبار الحسن بن زيد واخيه محمد بن زيد وما كان من امرهما ببلاد طبرستان » (٣) ولما دخل الحسن بن القاسم الحسني الري كتب المقتدر الى نصر بن احمد يقرعه ويقول « اهملت البلد حتى دخلت المبيضة (٤)» .

ويذكر المقريزي ان الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله كان يلبس دراعة صوف بيضاء (٥) وان الظاهر كان يظهر للناس وعليه ثياب دبيقية بيضاء (٦) وانه كان يلبس عمامة بيضاء مذهبة (٧) .

ويبدو ان اللون الابيض كان لباس الحاد في الحجاز في العهود الاولى فقد قالت عائشة ان الحاد على زوجها « لاتلبس ثوباً مصبوغاً ولا معصفراً . . . وتلبس البياض ولا تلبس السواد » (٨) وقال مالك « ولا بأس ان تلبس (الحاد) من الحرير الابيض » (٩) ويقول الشافعي « ولابأس ان تلبس الحاد كل ثوب وان جاء من البياض لأن البياض ليس بمزية » (١٠) .

وقد اكد الفقهاء على وجوب عدم لبس الحاد الثياب المصبغة ، فقال ابن عمر « ولا تلبس ثوباً مصبوغاً الا ثوب عصب تجلبب به . . . وكان لايرى بأسا ان تلبس البرد » (١١) .

وقد سئل مالك « في الحاد فهل تلبس الثياب المصبغة من هذه الدكن والصفر والمصبغات بغير الورس والزعفران والعصفر ، فقال لاتلبس شيئاً منه لاصوفاً ولا

---

(١) ذيل تاريخ الطبري ٨ .
(٢) مروج الذهب ١٩٤/٨ .
(٣) مروج الذهب ٣٥٣/٨ .
(٤) مروج الذهب ٦/٩ . ويذكر المسعودي ان «لمحمد بن الحسن في سهل تصنيفات من أخبار المبيضة» مروج ١٤٠/٨ .
(٥) اتعاظ الحنفا ١٠١/٢ .
(٦) اتعاظ الحنفا ١٣٤/٢ ، ١٥٠ ، ١٦٠ .
(٧) اتعاظ الحنفا ١٥٩/٢ ، ١٦٠ .
(٨) تفسير الطبري ٣١٨/٢ .
(٩) المدونة ١١٤/٥ .
(١٠) الام ٢١٤/٥ .
(١١) تفسير الطبري ٣١٨/٢ المدونة ١١٣/٥ .

قطناً ولا كتانا صبغ بشيء من هذا الا ان تضطر الى ذلك من برد ولا تجد غيره » (١)

ويقول ايضاً « ولاتلبس خزا ولا حريراً مصبوغاً ولا ثوباً مصبوغاً بزعفران ولا عصفر ولا خضرة ولا غير ذلك ، قال فقلنا لمالك فهذه الجباب التي تلبسها النساء للشتاء التي تصبغ بالدكن والخضر والصفر والحمر وغير ذلك ، قال لايعجبني الا ان لاتجد غير ذلك وتضطر اليه ، ولا خير من العصب الا الغليظ منه فلا بأس بذلك . . . فقلت لمالك هل تلبس الحاد البياض الجيد الرقيق منه ، قال نعم فلم ير بذلك باسا ، ووسع في البياض كله للحاد رقيقه وغليظه . . . قال في المصبوغ كله : الجباب من الكتان والصوف الاخضر والاحمر انها لاتلبسه . (٢)

ويقول الشافعي « ولابأس ان تلبس الحاد كل ثو ب وان جاء من البياض لان البياض ليس بمزية» ، وكذلك بصوف الوبر وكل مانسج على وجهه ، وكذلك كل ثوب منسوج على وجهه لم يدخل عليه صبغ من خز او مروى أبريسم او حشيش او صوف او وبر او شعر او غيره . وكذلك كل صبغ لم يرد به تزيين الثو ب مثل السواد وما اشبهه ، فان من صبغ السواد فانما صبغه لتقبيحه للحزن (٣)

ان الفقرة الاولى من كلام الشافعي تدل على ان البياض هو اللون المستعمل للحزن ، غير ان الجملة الاخيرة تدل على ان السواد ايضاً هو لون الحزن ، ولما كان الشافعي قد عاش في الحجاز وبغداد ومصر ، فاننا لانعلم اين كان هذا اللون سائداً .

أفي احد الاقاليم ، ام انه قد اخذ في زمنه يعم البلاد الاسلامية .

ويقول الوشاء ان « البياض عندهم من لبس المهجورات ، والازرق من لبس الارامل والمقرعات » (٤) .

وكانت متظرفات يلبسن « السراويلات البيض المذيلة ، والمعاجر السود المسبلة. ليس البياض عندهم من زي الرجال » (٥) .

---

(١) المدونة ٥/١١٣ . (٢) المدونة ٥/١١٥ .

(٣) الام ٥/٢١٤ . (٤) الموشى ١٨٤ .

(٥) الموشى ١٨٤ .

اللون الاسود

يقول الكليني ان « الرسول (ص) يكره السواد الا في ثلاث : الخف والعمامة والكساء (١) » ويذكر البخاري « ولم تر عائشة بأسا بالحلي والثوب الاسود » (٢) ويتبين من هذين النصين أن اللون الاسود لم يكن محبباً، ولكنه في نفس الوقت مباح وغير مكروه .

والسواد هو اللون الذي تميزت به بعض المنسوجات والثياب ، فالسبجة هي كساء اسود (٣) ، ويذكر ابن منظور انه « قيل انها بردة من الصوف فيها سواد وبياض» (٤) وذكر في مكان اخر ان « البردة كساء مربع اسود فيه صفر (٥) .»

والخميصة « كساء اسود مربع له علمان » (٦) وهي « لاتسمى خميصة الا ان تكون سوداء معلمة » (٧) وقد ذكرت الخميصة السوداء في بعض الاحاديث النبوية (٨) وقد ذكرت المصادر أن ممن كان يلبسها عثمان (٩) والامام علياً (١٠)

والبردة « كساء مربع اسود فيه صفر تلبسه الاعراب (١١) « وقد ذكرت للرسول (ص) « بردة سوداء من صوف » (١٢) .

ومن الملبوسات التي عرفت باللون الاسود هو الخمار ، ويبدو ان الخمار الاسود لم يكن في اوائل الاسلام مرغوباً في الحجاز الى ان قدم تاجر من اهل الكوفة المدينة بخمر فباعها كلها وبقيت السود منها فلم تنفق وكان صديقاً للدارمي ، فنظم له الدارمي قصيدة يتغزل فيها بحسناء كانت تلبس الخمار الاسود فلم

(١) الكافي ٤٤٩/٦ . (٢) البخاري حج ٢٣ وانظر ايضاً الترمذي : ادب ٤٩ .
(٣) الصحاح ١٥٣/١ المخصص ٧٩/٤ . (٤) لسان ١١٨/٣ .
(٥) لسان ٥٣/٤ . (٦) الثعالبي : فقه اللغة ٢٤٦ .
(٧) لسان ٢٩٦/٨ .
(٨) انظر : النسائي : استسقاء ٣ ، ٦٥ ابو داود استسقاء ١
(٩) ابن سعد ٣-٣٩/١ انساب الاشراف ٣/٥ . (١٠) ابن سعد ٣-٢٠/١ .
(١١) لسان ٥٣/٤ . (١٢) ابن حنبل ١٦٣/٦ ، ٢١٩ ، ٢٤٩ .

تبق في المدينة ظريفة الا ابتاعت خمارا اسود حتى نفدما كان مع العراقي منها» (١) وكانت « جيشان ينسب اليها الخمر السود » (٢) وقد رويت عدة نصوص تذكر ان عائشة كانت تلبس خمارا اسود جيشاني(٣) .

ومن الملبوسات المصبوغة بالاسود القميص وقد ذكر الاصفهاني ان الفرزدق كان يلبسه (٤) والجبة وكان يلبسها معاوية (٥) ومحمد النفس الزكية (٦) والقباء المروى (٧) والبرنس والمرط (٨) .

اما الدراريع السود فتروى بعض المصادر ان اول من لبسها المختار بن عبيد الثقفي وقد لبس علي بن الحسن دراعة سوداء (١٠) .

ويذكر وكيع ان قوماً جاؤوا يشهدون عند وكيع « عليهم ثياب سود وعليهم خفاف بعصبة وكأنهم من الاكراد ، وكأنهم ليسوا مسلمين (١١) وقد يفهم من هذا ان الاكراد كانوا يعرفون بلبس الثياب السود .

وكان مما تلبسه متظرفات النساء « السراويلات البيض المذيلة والمعاجر السود المسنبلة » (١٢) .

ومن زي المتظرفين وذوي المروءة ان يلبسوا من النعال « ويشرك اسودها باحمر واصفرها باسود (١٣) وفي القرن الرابع الهجري كان « من خصائص جرجان الثياب السود » (١٤).

اما العمامة السوداء فقد روي ان الرسول كان يلبسها (١٥) كما ذكرت المصادر عددا كبيرا من الصحابة والتابعين ممن كان يلبس عمامة سوداء ومنهم عبد الرحمن

---

(١) الاغاني ٤٥/٣ .
(٢) البكري ٤١٠ .
(٣) ابن سعد ٥١/٨ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣ ..
(٤) الاغاني ٤٠/١٩ .
(٥) ابن سعد ٤-٨٣/١ .
(٦) الطبري ٢٢٤/٣ .
(٧) الأغاني ٥٣/١٨ .
(٨) الام ٢٠٦/١ .
(٩) ابن قتيبة : المعارف ٢٤٠ ابن رسته : الاعلاق النفيسة ١٩٢ .
(١٠) الكافي ٤٤٩/٦ .
(١١) وكيع : أخبار القضاة ٣٨١/٢ .
(١٢) الوشاء : الموشى ١٨٤ .
(١٣) الموشى ١٧٩ .
(١٤) الثعالبي : لطائف المعارف ١٩٠ .
(١٥) ابن سعد ١-٢/١٥٠-١ انساب الأشراف ٥٠٧/١

ابن عوف (١) والامام علي (٢) وعمر (٣) ومعاوية (٤) ومحمد بن علي (٥) وسعيد بن المسيب (٦) وعبد الرحمن بن زيد (٧) والاسود بن يزيد (٨) وعبد الله ابن عمر (٩) وابن جامع (١٠) وفي سنة ١٢٩ تقدم ابوحمزة الخارجي الى عرفة ولهم « اعلام عمائم سود حرقانية في رؤوس الرماح وهم في سبعمائة (١١) «وممن كان يلبس حرقانية ابن الحنفية (١٢)، وعبدالله بن عمرو (١٣) وممن ذكرت المصادر انه لبس عمامة خز سوداء عمر بن ابي ربيعة (١٤).

وقد كثر ذكر استعمال القلانس السود في العصر العباسي فيروى الاصبهاني انه «كان ابو جعفر قد امر اصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها (١٥) »، وكان ابن جامع يعتم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة ويلبس لباس الفقهاء (١٦) وروى انحمزة بن ابي سلالة «على رأسه قلنسية سوداء (١٧) وكان داود الطائي ت ١٦٥ « لايشبه القراء ، عليه قلنسوة سوداء طويلة مما يلبس التجار (١٨) . »

وقد اصبح للون الاسود اهمية في الالبسة ، وخاصة منذ ان اتخذه العباسيون شعاراً لهم . وقد دفع هذا عدداً من الباحثين الى دراسة اصول استعمال العباسيين اللون الاسود ومن ابرزهم فان فلوتن الذي يقول « كان البياض شعار الامويين الى ذلك الحين ، فاتخذ العباسيون السواد شعارا لهم حدادا على الشهداء من ال البيت الذين ذهبوا ضحية استبداد الحكومة الاموية وقسوتها . على انه لايبعد ان يكون الامويون قد اتخذوا البياض شعارا لهم بعد ان قامت الدولة العباسية وبعد ان اتخذ الخلفاء العباسيون السواد شعارا لهم (١٩) «ثم يذكر فان فلوتن ان الالوية السوداء لم

---

(١) ابن سعد ٣-١/٩٣ لسان ١٣/٨٠ .
(٢) ابن سعد ٣-١/١٨ .
(٣) عيون الأخبار ٣/٤٦ .
(٤) ابن سعد ٤-١/٨٣ اليعقوبي ٢/٢٨٤ .
(٥) ابن سعد ٥/٨٥ .
(٦) ابن سعد ٥/١٠٢ الأم ١/٢٠٦ .
(٧) ابن سعد ٦/٨٣ .
(٨) ابن سعد ٦/٤٩ .
(٩) ابن سعد ٤-٢/١١ .
(١٠) الأغاني ٦/٢٩١ .
(١١) الطبري ٢/١٩٨١ .
(١٢) ابن سعد ٥/٨٤ .
(١٣) ابن سعد ٤-٢/١١ .
(١٤) الأغاني ١١/١٧١ .
(١٥) الأغاني ١٠/٢٣٦ .
(١٦) الأغاني ٦/٢٩١ .
(١٧) الاغاني ٢١/٣٥ .
(١٨) ابن سعد ٦/٢٥٥ .
(١٩) السيادة العربية ١٢٥ .

تكن يوما ما شعارا للحداد ، وان الحارث بن سريج ، وبهلول الخارجي وابو حمزة الخارجي قد اتخذوها شعارا لهم ، وان لها علاقة بمحاربة الضلالة ، وانها تمثل لواء الرسول (ص) الذي كان يحمله في حروبه مع الكفار .

وقد ذكر كتاب « اخبار الدولة العباسية » المجهول المؤلف نشأة اتخاذ العباسيين السواد شعارا لهم واسبابه فقال ابراهيم الامام قال لابي هاشم بكير بن ماهان في ذلك « والسواد ياابا هاشم لباسنا ولباس انصارنا وفيه عزنا ، وهو جند ايدنا الله به وساخبرك عن ذلك كانت راية رسول الله (ص) سوداء ، وكانت راية علي بن ابي طالب سوداء ، فعليكم بالسواد فليكن اباسكم الثياب والرايات السود وبعدوها الى وقت خروجهم . فانصرف ابو هاشم . . . وبعث ابا سلمة الى خراسان ، ودفع له ثلاث رايات سود ، وامره ان يدفع واحدة الى من بمرو من الشيعة ويدفع واحدة الى من بجرجان من الشيعة ، ويبعث بواحدة الى ماوراء النهر ، فشخص ابو سلمة الى خراسان ، فكان اول من قدمها بالرايات السود . و كان مما قوى راية الائمة في السواد امور :

منها ماجاء فيه من ظهور الرايات السود .

ومنها ان راية النبي (ص) كانت سوداء .

ومنها ان راية علي بن ابي طالب (رض) كانت سوداء وفيها يقول القائل يوم صفين :

لمــن راية سوداء يخفــق ظلهــا اذا قيل قدّمها يزيــد تقدما

ومنها انه كان لباس داود حيث لقى جالوت فظفر به . السواد . . .

ومنها ان بني عبد المطلب لم يزالوا يتيمنون بالسواد (ثم يذكر ان قريشاً لما حفرت زمزم وجدت غزالين مصنوعين بالذهب مكللين بالجوهر ، فحكموا كاهنا فقال ان يسهموا فمن خرج سهمه كان له الغزال ، و كان سهم عبد المطلب فخرج له الغزال . . . فلم يزل بنو عبد المطلب يتيمنون بالسواد مذ ذاك .

وقد اضاف الكتاب رواية عن عمرو بن شعيب ان شيعة العباسيين استوحشوا من السواد فاجابهم ابو هاشم « ان عز هذه الدولة فيه ، ولا تزال دعوة بني هاشم عزيزة مالبس السواد اهلها وقد كانت الانصار لما اصابت قريش ومن كان معها ما اصابت من النبي (ص) واصحابه يوم احد سودوا الثياب ، كما تصنع العرب

في ثيابها عند المصائب . . . فقال ابو هاشم قد تتابعت على آل رسول الله (ص) مصائب لايذكر معها لأشياعهم لباس السواد حتى يدركوا بثأرهم (١) .

وفي راية الرسول يتبنى فان فلوتن رأي هماكربان « الالوية تمثل لواء الرسول الذي كان يحمله في حروبه مع الكفار ، ذلك اللواء الذي اتفقت جميع المصادر التي اعتمدنا عليها انه كان اسود» وقد ذكر فلوتن مصادره وهي كتاب الخراج لابي يوسف ص ١١٩ ، وفتوح البلدان للبلاذري ص ١١٢ ، واليعقوبي ٢–١٥١ والدينوري ١٨٦ ومخطوط كتاب الوفا ورقة ١٤٤ .

فاما راية الرسول ولواؤه ، فان ابن سعد يذكر ان الالوية التي اعطاها الرسول لمن قاد السرايا السبع الاولى كانت بيضاء (٢) وان الرسول عقد لكل من عمرو بن العاص في سريته الى ذات السلاسل ، ولعلي في سريته الى الفلس لواءا ابيض وراية سوداء (٣) وكلتا السريتين حدثتا بعد فتح مكة ، ولم يذكر ابن سعد الوان الوية الرسول وراياته في الغزوات الاخرى .

اما في فتح مكة فيذكر ابن سعد انه « دخل النبي (ص) مكة وعليه عمامة سوداء (٤) » ويقول البلاذري « دخل رسول الله (ص) مكة وعليه عمامة سوداء ولواء اسود (٥) وذكر البلاذري ان خالد بن الوليد عندما كان يحاصر دمشق من ثنية العقاب نشر رايته « وهي راية كانت لرسول الله (ص) سوداء» (٦) ومن هذا يتبين ان الرسول لم يقتصر في راياته على اللون الاسود ، بل كان بعضها ابيض ولم يقطع احد القول بان كل رايات الرسول كانت سوداء . اما راية الامام علي في صفين فان نصر بن مزاحم يذكر ان الراية كانت حمراء (٧) .

ولم تذكر المصادر من استعمل الرايات السود قبل العقد الثاني من القرن الثاني حيث استعمله بعض الثوار في العراق والجزيرة وفي خراسان فيروي الذهبي ان يزيد ابن المهلب لما ثار على عمر بن عبدالعزيز . بالقمصاني ونصب رايات سوداء وقال ادعو الى سيده عمر بن الخطاب (٨) ويذكر الطبري ان بهلول الخارجي لما ثار

---

(١) أخبار الدولة العباسية ٢٤٥–٧

(٢) ابن سعد ١–٢/٢–٤ .

(٣) ابن سعد ١–٢/٩٥ ، ١١٩.

(٤) ابن سعد ٢–١/١٠١ .

(٥) انساب الاشراف ١/٣٥٥ .

(٦) فتوح البلدان ١١١ ياقوت ١/٩٣٥ .

(٧) وقعة صفين ٢٨٩ .

(٨) تاريخ الاسلام ٤/١٥٠ .

في العراق كان معه لواء اسود (١) وان حمزة الخارجي عندما هاجم المدينة طلع جيشه « اعلام عما ثم سود حرقانية » (٢) غير ان التهذيب يذكر « يقال للحرورية المبيضة لان راياتهم في الحروب كانت بيضاء » (٣) .

اما في خراسان فان الحارث بن سريح عندما تقدم الى مرو كان عليه « يومئذ السواد » (٤) وقد ذكر الكميت في قصيدة يحرض فيها اهل مرو على الانضمام للحارث :

والا فارفعــــوا الرايات ســـــودا   على اهل الضلالـــة والتعـــدى (٥)

ومن هذا يتبين ان اللون الاسود قد استعمل في زمن الرسول وصدر الاسلام في الالبسة والعمائم ، ولكن نيس بصورة ثابتة او كشعار ثابت مميز ، ثم صار منذ العقد الثاني من القرن الثاني الهجري شعاراً يميز ثائرين متباينين في الافكار كالخوارج والحارث بن سريح المرجىء والعباسيين ، ولعل استعماله وانتشاره في الشعارات راجع الى بعض الاراء الشعبية التي سادت عن ظهور منقذ للعالم وفكرة الرايات السود التي تظهر من المشرق لتنقذ العالم (٦) .

اما حفر زمزم فقد ذكرته المصادر الاخرى (انظر مثلا اخبار مكة للازرقي)(٧) غير اني لم اجد اشارة الى تصاول بني عبد المطلب بالسواد .

ويذكر ابو هلال العسكري ان ابراهيم الامام لما قتله مروان « فلبس شيعته السواد فلزمهم وصار شعارا لهم » (٨) .

ولما ابطل المامون لبس السواد وامر بلبس الخضرة استاء الناس « لتركه لباس آبائه من السواد ولبس الخضرة » (٩) وطلبوا اليه ان « يرجع الى لبس السواد وزي دولة الاباء »(١٠) فلما عاد الى السواد هدأ الناس .

---

(١) الطبري ١٦٢٤/٢ .
(٢) الطبري ١٩٨١/٢ .   (٣) لسان ٢٨٨/٥ .
(٤) الطبري ١٥٧٠/٢ .   (٥) الطبري ١٥٧٤/٢
(٦) انظر ابن حنبل ٢٧٧/٥ ، الترمذي : فتن ٧٩ ابن ماجة : الفتن ٧٩ .
(٧) أخبار مكة ٣٦/٢–٧ . وانظر مقال الدكتور فاروق عمر .
(٨) الاوائل ٢١٠ .   (٩) الطبري ١٠١٦/٣ .   (١٠) الطبري ١٠٣٧/٣

اللون الادكن والمرنباني

ذكر الادكن لونا للخز الذي كان منه مطرف القاسم بن محمد (١) ، وعروة ابن الزبير (٢) وكذلك برنس ابن ابي اوفى (٣) . وكان هذا ايضاً لون جبة كل من الحسين بن علي (٤) ، وجعفر الصادق (٥) ، وبعض الكتاب . (٦)

اما المرنباني فهو « لونه لون الارنب ، والمؤرنب ماقد خلط غزله وبر الارنب »(٧) ولم تذكر المصادر من الالبسة مالونه أرنباني .

اللون الاخضر

ذكرنا من قبل ان اللون الاخضر تكرر ذكره في القرآن الكريم وان بعض الايات ذكرت ان لباس اهل الجنة ثياب سندس خضر ، وقد ذكرت المصادر عدداً من المنسوجات والثياب الخضر ومنها الحضرمي المخضرا(٨) والجنادى الاخضر الذي سترت فيه الكعبة (٩) والمرط «قيل هو الثوب الاخضر (١٠) كما ذكر الرفرف « ثياب خضر تبسط» (١١) والخوخة « ضرب من الثياب خضر(١٢) ، وكل طليسان اخضر ساج» (١٣) ولم يكن الاخضر من الالوان المكروهة في الاوساط الدينية (٤١) .

وقد ذكر ان الساج طيلسان اخضر (١٥) وبرنكان اخضر(١٦) .

---

(١) ابن سعد ١٤٣/٥ .
(٢) ابن سعد ١٤٣/٥ .
(٣) ابن سعد ٤-٢/٣٦ .
(٤) الكافي ٤٥٢/٦ .
(٥) حلية الاولياء ١٩٨/٣ .
(٦) الاغاني ٨٣/١٣ .
(٧) المخصص ٨٠/٤ .
(٨) سيرة ابن هشام ٩٥/٢ الاغاني ١١/٩ .
(٩) لسان ١٠٦/٤ .
(١٠) لسان ٢٧٨/٩ .
(١١) المخصص ٧٦/٤ .
(١٢) المخصص ٧٣/٤ عن الخليل .
(١٣) المخصص ٧٩/٤ .
(١٤) البركة في فضل السعي والحركة ٤٩ .
(١٥) الصحاح ١٥٤/١ المخصص ٧٩/٤ لسان ١٢٧/٣ .
(١٦) الاغاني ٦٠/٢١ .

غير ان اكثر المنسوجات التي تردد ذكر لونها الاخضر هو الخز فقد ذكر مطرف خز اخضر على زياد (١) ، وعلى الشعبي (٢) وجبة خز اخضر يلبسها القاسم بن محمد (٣) وقلنسوة خز اخضر يلبسها القاسم بن محمد (٤) والشعبي (٥) وبرنكان اخضر على رؤبة (٦) ، كما ذكر مالك بردا اخضر (٧) .

وقد اهتم هشام بن عبد الملك بالمنسوجات «واليه ينسب الخز الاخضر الهشامي (٨) وقد قال مالك في البسة الحاد «ولا تلبس خزا ولا حريرا مصبوغاً ولا ثوباً مصبوغاً بزعفران ولا عصفر ولا خضرة ولا غير ذلك» ولما سئل عن «هذه الجباب التي تلبسها النساء للشتاء التي تصبغ بالدكن والخضر والصفر والحمر وغير ذلك ، قال لايعجبني الا ان لاتجد غير ذلك . وتضطر اليه» (٩) .

اما الشافعي فيذكر انه مما لايجوز للحاد ان تلبسه « . . . وكذلك كل ماصبغ لغير تزيينه ، اما لتقبيحه او لنفي الوسخ عنه مثل الصباغ بالسدر وصباغ الغزل بالخضرة تقارب السواد ، لا الخضرة الصافية وما في مثل معناه (١٠) .

ويذكر الوشاء ان « لبس المورد والاحمر والسنيري والاخضر انما هو لبس النبطيات ولبس الاماء المتقينات . (١١) »

اما شعار الخضرة فلم اجد من اتخذه في العهود الاسلامية الاولى الا المامون بعد ان ولي الخلافة وهو في خراسان ، فيقول الطبري ان المامون كتب الى طاهر ابن الحسين « وامره بطرح لبس الثياب السود ولبس ثياب الخضرة . . . ويأمره ان يأمر من قبله من اصحابه والجند والقواد وبني هاشم بالبيعة له وان يأخذهم بلبس الخضرة في أقبيتهم وقلانسهم واعلامهم ، ويأخذ اهل بغداد جميعاً بذلك (١٢)» ويقول المسعودي ان المامون « امر بازالة السواد من اللباس والاعلام واظهر بدلا من

---

(١) الطبري ٢/١١٥ اغاني ٣/١٦ .

(٢) ابن سعد ٦/١٧٦ .

(٣) ابن سعد ٥/١٤٠ ، ١٤٢ .

(٤) ابن سعد ٥/١٤٠ .

(٥) ابن سعد ٦/١٧٦ .

(٦) اغاني ٢١/٦٠ .

(٧) موطأ حدود ٢٥ .

(٨) الذخائر والتحف ٢١١ .

(٩) المدونة ٥/١١٤ .

(١٠) الأم ٥/٢١٤ .

(١١) الموشى ١٨٤ .

(١٢) الطبري ٣/١٠١٣ .

ذلك الخضرة في اللبـــاس والاعـــلام وغير ذلك ونمى ذلك الى من بالعراق من ولد العباس فاعظموه اذ علموا ان في ذلك خروج الامر عنهم » (١)

وقد اثار عمل المامون استياء اهل بغداد ، وكان من العوامل التي حملتهم على تاييد الثورات التي قام بها ابراهيم بن المهدي وابو السرايا ضده . اذ رأوا من عيوبه « تركه لباس اباته من السواد ولبسه الخضرة . . . حيث كان « لباس . ولباس اصحابه ابنيتهم وقلانسهم وطراداتهم واعلامهم كلها خضرة » فارادوا ان « يرجع الى لبس السواد وزي دولة الاباء » (٢) والواقع ان المامون حالما عاد الى بغداد ابطل لباس الخضرة وعاد الى لباس السود (٣) .

لقد اخذ المامون لباس الخضرة في زمن قريب من اختياره علي الرضا ، العلوي ولي عهد له ، فاعطى هذا انطباعاً عند البعض ان الخضرة شعار العلويين . والواقع انه ليس لهذا سند تاريخي ، ولا علاقة بين لباس الخضرة واختيار علي الرضا ، ذلك ان شعار العلويين كان البياض ، كما ذكرنا ، وان علي الرضا نفسه نصح المامون بابطاله وقد اعطى بعض الباحثين المحدثين لذلك تعليلات يصعب قبولها (٤).

ويروى ان الفضل بن سهل هو الذي دفع المأمون الى اتخاذ شعار الخضرة لانه كان شعار الساسانيين ، وان علياً الرضا هو الذي نصح المأمون بابطال شعار الخضرة (٥) . وقد ذكر حمزة الاصبهاني الوان شعارات وسراويل وتيجان الملوك الساسانيين ؛ وذكر خمسة وعشرين ملكاً ساسانياً منهم ثلاثة عشر ملكاً كانت الوان تيجانهم خضراء (٦) . كما ذكر ابن اسفنديار ان صبهبذ طبرستان ارسل الى المنصور ما كان يرسله للساسانين من اموال ، ومنها ثلاثمائة حمل من بسط والبسة من الحرير الاخضر (٧)

---

(١) مروج الذهب ٣/٤٤١ .

(٢) الطبري ٣/١٠١٦ .

(٣) الطبري ٣/١٠٣٧ .

(٤) انضر هذه الاراء في مقال الدكتور فاروق عمر : الالوان .

(٥) عيون اخبار الرضا .

(٦) تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ٤٤ – ٥٥

(٧) تاريخ اسفنديار ١١٨ (ترجمة براون)

اللون الازرق والكحلي والبنفسجي

لن تذكر المصادر نسيجاً اوملبوساً لونه ازرق الا طيلسان لعلي بن الحسين (١) وقد ذكر الوشاء عند كلامه عن زي الظرفاء وذوي المروءة من الرجال « الطيالسة القوميسية الزرق السلولية (٢) وورد في حكاية ابي القاسم ان الامة «تجلس فتمد في وجهها ازار قصب ابيض رقيق وهي من ورائه في ازار ازرق » (٣) ويقول الوشاء «الازرق والحداد لبس الارامل والمقرعات»(٤) وقد ذكر العوهق وهو صبغ شبه اللازورد(٥) ويضيف ابن منظور «وقيل العوهق لون كلون السماء مشرب سوادا»(٦) ولم تذكر المصادر البسة مصبوغة بالعوهق .

اما الكحلي فقد ذكر في لون السجلاط « قيل هو الكحلي ، وقيل هو على لون السجلاط وهو «الياسمين » (٧) ومن المعلوم ان الياسمين ابيض واصفر واحمر وكحلي (٨)

والسجلاط ثياب صوف . . .وقيل هي ثياب موشية كان وشبه خاتم ، وقد ذكر في لونه طيلسان خز ، وضرب من ثياب الكتان ، ونمط من الصوف ، والكلمة رومية وقد ذكر في بيت شعر لحميد بن ثور .

تخيرن اما ارجوانا مهذبا واما سجلاط العراق المختما

وقد ذكر في الحديث انه اهدى للرسول (ص) طيلسان من خز سجلاط (٩) ولم ير مالك بأسا ان يحرم الرجل في البرنكانات والطيالسة الكحلية (١٠) وورد في حكاية ابي القاسم» . . . واذا تظرفتم لبستم الكتفي وفتيانكم بالابراد وعمائم القطن الكحلية تعلق في اهدابها خيوط خضر وحمر » (١١) .

اما النيل فقد ذكر ابن البيطار « قال ص وغيره هو صنفان : احدهما تصبغ به الثياب اللطاف بعد ان يدبر ورقة كما يدبر ورق السحاي ويطبخ في القدور ويعقد ويستعمل في صباغ الثياب ، قال في اللیلاب هو حب النيل » (١٢) وذكر ابن البيطار « النيلج : الغافقي هو العظلم والذي يستعمله الصباغون عندنا هو العظلم وليس هو الذي ذكره ديسقوريدس ، والذي ذكره ديسقوريدس يسمى عندنا بالاندلس السماني ، وقلما يستعمل ببلاد الروم وقد يستعمل ايضاً بغربي بلاد الاندلس » (١٣) وهو يذكر في موضع اخر من كتابه « عظلم تال

(١) الكافي ٤٤٩/٦ . (٢) الموشى ١٧٨ . (٣) حكاية ابي القاسم ٥٤ . (٤) الموشى ١٨٤ .
(٥) المخصص ٢١٣/١١ . (٦) لسان ١٥١/١٢ . (٧) لسان ١٨٣/٩ .
(٨) ابن البيطار : جامع الادوية المفردة ٢٠٢/٤ (٩) لسان ١٨٣/٩ . (١٠) المدونة ١٢٢/٢ .
(١١) حكاية ابي القاسم ٣٧ . (١٢) ابن البيطار ٣٠٦/٢ . (١٣) ابن البيطار ١٨٦/٤ .

بعض علمائنا هو الوسمة »(١) ويذكر ايضاً « وسمة هي ورق النيل »(٢) يكثر انتاج النيل في كابل فيذكر ابن حوقل انه « يباع بها من النيل في كل حول مما يعمل بقصبتها وسوادها دون الباقي منه بايدي التجار على مايذكره تجارهم بالفي الف دينار وزائد ، والذي شاهدت دون ذلك » (٣) .

كما يذكر عن زغر ، وهي مدينة على البحر الميت « زغر مدينة حارة جرومية متصلة بالبادية صالحة الخيرات وفيها من النيل والتجارة وفيه مالا يقصر عما بكابل من صناعة وعمالة غير انه يقصر عن صباغ نيل كابل » (٤).

اما اللون البنفسجي فلم يرد ذكره » في نص واحد ورد في الاغاني حيث يقول « دخل حمزة بن ابيض على سليمان بن عبد الملك ، فلما مثل بين يديه انشأ يقول :

رايتك في المنام شنت خزا على بنفسجاً وقضيت ديني
فصدق يافدتك النفس رؤيا رأتها في المنام لديك عيني

فقال سليمان : ياغلام ادخله خزنة الكسوة واشتت عليه كل ثوب بنفسجي فيها » (٥) .

اللون الاصفر

اللون الاصفر من الالوان التي أوردت المصادر ذكرها في الملابس في العهود الاسلامية الاولى فقد وردفي الاحاديث النبوية ذكر لقميص اصفر (٦)وثوب اصفر (٧) والملاءة الصفراء (٨) والملحفة الصفراء (٩) .

وذكرت المصادر انواعاً من الملبوسات المصبوغة بالاصفر ، ومنها مطرف غز كان يلبسه محمد بن الحنفية(١٠)، وابن سلمة (١١) ، والشعبي (١٢) ، ومحمد بن علي (١٣) ومنها الازار وكان يلبسه عمر بن الخطاب (١٤) والامام علي (١٥) ، وابراهيم النخعي (١٦) والوليد بن يزيد (١٧) .

---

(١) ابن البيطار ١٢٧/٣ . (٢) ابن البيار ١٩٣/٤ .(٣) ابن حوقل ٤٥٠/٢ .
(٤) ابن حوقل ١٨٤/١ . (٥) الأغاني ٢٥/١٥ . (٦) البخاري : الجهاد ١٨٨ .
(٧) النسائي : استئذان ٣٣ . (٨) النسائي : لباس ٤ .
(٩) ابن ماجة : طهارة ٨٢ ، لباس ٢٢ . (١٠) ابن سعد ٨٤/٥ عيون الأخبار ٢٩٨/١ .
(١١) ابن سعد ١١٦/٥ . (١٢) ابن سعد ١٧٦/٦ . (١٣) الكافي ٤٥٠/٦ .
(١٤) ابن سعد ٣-٢٥٢/١ . (١٥) ابن سعد ٣-٢٠/١ . (١٦) ابن سعد ١٩٦/٦ — ٧ .
(١٧) الاغاني ٢١٠/٢ ، ٧٩/٦ .

وثوب كان يلبسه عمر بن الخطاب (١) وابن عمر (٢) والوليد بن يزيد (٣) وملحفة كان يلبسها عمر بن الخطاب (٤) ومحمد بن الحنفية(٥)
ورداء كان يلبسه عروة بن الزبير (٦) ، والوليد بن يزيد (٧) وجبة كان يلبسها القاسم بن محمد (٨) ومحمد النفس الزكية (٩) ومحمد بن علي (١٠) وملاءة كان يلبسها عثمان بن عفان (١١) ، وابراهيم النخعي (١٢) ، وجرير الشاعر (١٣) ودراعة صفراء كان يلبسها احد الفرسان (١٤) وغلالة كانت تلبسها جارية .(١٥)
وقلنسوة كان يلبسها محمد النفس الزكية (١٦) .

ويذكر ابن منظور « ويقال كان شعارهم (مضر) في الحرب العمائم والرايات الحمر ، ولاهل اليمن الصفر(١٧)» وقد اتخذ اليمانيون الذين ثاروا في العصر الاموي باسم القحطاني شعار الصفرة ، ويذكر الجاحظ « اما قولهم في الاصفر القحطاني فلا ندري اي المعاني ارادوا: الصفرة التي تنسب اليها الالوان أم اصفرار الجلدة كجلد جرادة مروان وقد خرج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ويزيد بن المهلب على تحقيق الرواية في الاصفر القحطاني ولم يكن بين الوانهما وبين الصفرة سبب ، وخرج على ذلك ثابت بن نعيم الغامدي باالشام وكان كأنه لم ير مغموساً في الورس — ٢٩ ب (المصدر : البرصان والعرجان ٩٩—١٠٠)

المصرة :

وفي القرن الرابع الهجري كان من الالبسة الشنعة الالوان التي لايستحسن من

---

(١) ابن سعد ٣—٣٧/١ ، ٢ ٢٥٢ (٢)ابن سعد ٤—١٢٨/١ . (٣)الاغاني ٢١٠/٢، ٧٩/٦ ..
(٤) ابن سعد ٣—٢٣٧/١ . (٥) ابن سعد ٨٤/٥ وانظر عن الملحفة والثوب الأصفر لسان ١٤١/٨ ..
(٦) ابن سعد ١٣٤/٥ . (٧) الأغاني ٢١٠/٢ ، ٧٩/٦ . (٨) ابن سعد ١٤٢/٥ .
(٩) الطبري ١٩٦/٣ . (١٠) الكافي ٤٥٠/٦ . (١١) انساب الاشراف ٤/٥ .
(١٢) ابن سعد ١٩١/٦ . (١٣) الاغاني ١٥/٨ . (١٤) الأغاني ١٧١/١١ ، ١٠٢/٧ .
(١٥) الأغاني ٢٧٥/٤ . (١٦) الطبري ١٩٦/٣ . (١٧) لسان ٢٦/٧ .

الرجال « الملاحم الاصفر ، فهي من لبس النساء ، ولبس القينات والاماء » (١)
وكان الخف الاصفر من لباس الارستقراطية فيروى الجاحظ « وهذا عبد الملك بن مروان كان اذ لبس الخف الاصفر لم يلبس احد من الخلق خفاً اصفر حتى ينزعه » كما يذكران ابراهيم بن المهدي لما اعلن نفسه خليفة خرج للناس وعليه خف اصفر (٢) .

ومن الالوان الصفراء اللون الاتحمي وهي برود يرى الفراء انها مخلطة بالصفرة ، ويرى غيره انها حمراء ، والبرد المذهب هو ارفع الاتحمى (٣) وقد ورد في احد الابيات الشعرية مايدل على أن الاتحمي كان لونه اصفر .

صفراء متحمـــة حيكت نمائمهـــا من الدمقسي او من فاخر الطوط (٤)

ويطلق على الخز الاصفر الردن (٥) .

ومن الالوان الصفراء الهروية . فيقول ابن منظور « هرى فلان عمامته تهرية اذا صفرها ، وقوله انشد ابن الاعرابي :

رأيتك هريّت العمامة بعـدمـــا اراك زمـــانا فاهها لاتعصب

وقال ابن قتيبة : هرى العمامة لبسها صفراء . ابن الاعرابي ثوب مهرى اذا صبغ بالصبيب ، وهو ماء ورق السمسم ، ومهرى ايضاً اذا كان مصبوغاً كلون المشمش والسمسم . . . وكانت سادات العرب تلبس العمائم الصفر ، وكانت تحمل من هراة مصبوغة ، فقيل لمن لبس عمامة صفراء قد هرى عمامته ، يريد ان السيد هو الذي يتعمم بالعمامة الصفراء دون غيره (٦) ويذكر الثعالبي ان الازهرى يزعم « ان تلك العمائم المهراة كانت تحمل الى بلاد العرب من هراة (٧) » .

الممصرة :

ومن الالوان الصفراء الممصرة فينقل ابن منظور عن القتبي « الممصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة » (٨) ويقول ايضاً « الممصر الطين الاحمر ، وثوب ممصر مصبوغ بالطين الاحمر او بحمرة خفيفة ، وفي التهذيب ثوب ممصر مصبوغ بالعشرق ، وهو نبات احمر طيب الرائحة تستعمله العرائس وانشد : مختلطاً عشرقه وكركمه .

---

(١) الموشى ١٧٩ . (٢) التاج ٤٧-٤٨ . (٣) لسان ٣٣٠/١٢ .
(٤) ديوان الهذليين ١٤٦/٢ المخصص ٧٣/٤ لسان ٣٣٠/١٢ . (٥) لسان ٣٦/١٧ .
(٦) لسان ٢٣٧/٢٠ وانظر عن الصبيب لسان ٦/٢ (٧) فقه اللغة ٢٤٢ . (٨) لسان ٤٤٧/٤ .

ابو عبيد : الثياب الممصره التي فيها شيْ من صفرة ليست بالكثيرة ، وقال ابو سعيد : التمصير في الثياب ان تتمشق تخرقاً من غير بلا » (١) .

وممن ذكر انه لبس – رداءا ممصرا القاسم بن محمد (٢) ، وممن لبس ثوبا ممصرا كل من الخليفة عثمان (٣) وعمر بن ابي ربيعة (٤) ورجل ذكره الاصفهاني (٥) وكان محمد بن علي يقول « ان آل محمد يلبسون بعض المصبغات ومنها الممصر (٦) . »

الهرد والكركم :

ومن الاصباغ الصفراء للملابس الهرد او الكركم ، فيقول ابن منظور « الهرد العروق التي يصبغ بها . . . وثوب مهرود مصبوغ اصفر بالهرد (٧) ويقول ابن سيدة « وقيل الهرد عروق صفر » (٧)

وقد وردت كلمة الهرد في حديث نبوي جاء فيه انه « ينزل عيسى بن مريم في ثوبين مهرودين اي مصبوغين بالهرد (٩) وان عيسى « ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين (١٠) . »

وقد اورد ابن البيطار بعض التفاصيل عن اختلاف التسميتين فقال « الكركم المعروف عندنا عروق يؤتى بها من الهند ، ويسمى القرد بالفارسية ، قال ابن حسان يسمى الهرد ، واهل البصرة يسمونها الكركم (١١) ويقول ابوحنيفة « وقد صرف فقيل كركم ثوبه ، قال البعيث في وصف القطا :

سماوية كدر كأن عيونها   يداف بها ورس حديث وكركم (١٢)

---

(١) لسان ٢٤/٧–٥ وانظر عن العشرق لسان ١٢٤/١٢ .

(٢) ابن سعد ١٤٢/٥ .   (٣) ابن سعد ٣–٣٩/١ .

(٤) الاغاني ٧٢/١ .   (٥) الاغاني ٣٨/١٩ .

(٦) ابن سعد ٣٦/٥ .   (٧) لسان ٤٤٧/٢ .

(٨) المخصص ٢١١/١١ وانظر ايضاً ابن البيطار ١٢٥/٤ .

(٩) الترمذي : فتن ٥٩ وانظر المخصص ٢١١/١١ لسان ٤٤٧/٤

(١٠) ابن ماجة : فتن ٣٣ صحيح مسلم : فتن ١١٠ ابن حنبل ٣٨٢/٤ .

(١١) ابن البيطار ٦٥/٤ .   (١٢) المخصص ٢١١/١١ .

ينقل ابن منظور عن الازهرى « قرات بخط شمر لابي عدنان : اخبرني عالم من اعراب باهلة « الثوب المهرد والذي يصبغ بالورس ثم بالزعفران ، فيجيء لونه مثل لون زهرة الحوذانة ، فذلك الثوب المهرود ، ويروى في ممصرتين، ومعنى الممصرتين والمهرودتين ،واحد ، وهي المصبوغة بالصفرة من زعفران وغيره » (١) ويدل هذا النص على ان الهرد اصفر اللون ، وانه قد يصبغ بالورس او الزعفران ويقول ابن البيطار ان « الكركم هو الزعفران ، شبهوه بالزعفران لانه يصبغ صبغ اصفر كما يصبغ بالزعفران ، يؤتي به من جزائر الهند واليمن ، وزعم قوم انه اصول الورس وقيل ان الورس صنف آخر منه (٢) ويقول أبو حنيفة عن الزعفران « وقيل هو عجمي معرب ،والكركم عجمي »(٣) ان اقران الكركم بالزعفران راجع الى تشابه لون صبغيهما ، وليس لترادفهما ، فالكركم يجلب من الهند واليمن ، اما الزعفران فنبات اخر .

الزعفران :

اشار ابن سيدة الى الفرق بين الكركم والزعفران حيث قال « الكركم غير الزعفران شعر (شجر ؟) معروف ، والكركم عيدان معروفة يستغنى بشهرتها عن الشاهد عليها ، ولونها كلون الورس سواء وهما مباينان للون الزعفران ، وهما اصفران وصبغهما اصفران فاقعان ، وكلما زيد صبغاهما نصعا وصبيب الزعفران ايضا اصفر ، فان زيد من صبغه رهفته كدره ، فان اخر طرفيه شاكل السواد ولون الزعفران احمر (٤) » يتبين من هذا النص تقارب الوان الكركم والورس والزعفران ، وانها جميعاً ذات لون اصفر ، غير ان صفرة الكركم والورس اصفى وانقى ، والواقع ان الورس اكثر الاصباغ ذكرا في المصادر ، وخاصة فيما يتعلق بملبوسات اهل الحجاز ، وكثيرا ماذكرا معا فيقول ابن السكيت « الاصفران الورس والزعفران » (٥) وقد ورد ذكر صفرة الورس والزعفران في عدة احاديث نبوية (٦) . وكان خضاب الصحابة مع الرسول الورس والزعفران (٧)

---

(١) لسان ٤٤٧/٤ ويقول الأزهري ان « الحوذانة نبتة لها نور أصفر طيب الرائحة :» : محمد مصطفى الدمياطي : معجم اسماء النبات ٤٨ . (٢) ابن البيطار ٦٥/٤

(٣) المخصص ٢١١/١١ (٤) المخصص ٢١١/١١ . (٥) المخصص ٢٠٩/١١ .

(٦) انظر الدارمي : وضوء ١٠٥ أبو داوود الترجل ١٩ ، النسائي : الزينة ٦٥ .

(٧) ابن حنبل ٧٢١/٣ وانظر أيضاً ابو داوود : الترجل ١٩ ، النسائي الزينة ٦٥ .

ومن مظاهر تقاربهما اختلاط بعض الاسماء بينهما فيقول ابن سيدة « الغمر الزعفران وقيل الورس» (١) ويذكر ابن منظور « العنبر الزعفران وقيل الورس » (٢)

ويبدو ان الزعفران كان واسع الشيوع في الجزيرة عامة وفي الحجاز خاصة وذلك لكثرة تردد ذكره في المصادر ، وكثرة اسمائه في اللغة العربية ، فقد ذكر ابن سيدة من اسمائه « الريهقان ، والعبير ، والخلوق ، والجادى ، والغيد القمحان والغمر والمردقوش والقرمد »(٣) ويقول ابن الاعرابي « يقال للزعفران الريهقان والجادي والجساد » (٤) .

وقد اوردت كتب اللغة معلومات اوفى عن الجساد ، فيقول الثعالبي « ثوب مجسد اذا كان مصبوغاً بالجساد وهو الزعفران » (٥) وينقل ابن سيدة عن ابي عبيد ان « الجسد والجساد الزعفران ، ومنه قيل للثوب مجسد ؛ ومجسد اذا صبغ بالزعفران» وعن ابي حنيفة الدينوري « ثوب مجسد اذا كثر فيه الزعفران حتى يجف فيقوم قياما ، ومنه يقال للدم اذا جف جاسد » (٦) .

اما ابن منظور فيذكر نصوصا يدل بعضها على ان كلمة المجسد لاتقتصر على الزعفران وحده فهو يقول « الجسيد الدم اليابس وقد جسد ، ومنه قيل للثوب مجسد اذا صبغ بالزعفران . »

ابن الاعرابي : يقال للزعفران الريهقان والجادى والجساد .

الليث : الجساد الزعفران ونحوه من الصبغ الاحمر والاصفر الشديد الصفرة .

وانشد : جساد من لونين ورس وعندم . والثوب المجسد هو المشبع عصفراً او زعفران . والمجسد الاحمر ، يقال على خلاف ثوب مشبع من الصبغ وعليه ثوب معندم ، فاذا قام قياماً من الصبغ قيل قد اجسد ثوب فلان اجسادا فهو مجسد . وفي حديث ابي ذر ان امرأته ليس عليها اثر الجاسد . ابن الاثير : هو جمع مجسد وهو المصبوغ المشبع بالجسد ، وهو الزعفران والعصفر والجسد والجساد الزعفران او نحوه من الصبغ . وثوب مجسد ومجسد مصبوغ بالزعفران ، وقيل هو الاحمر ، والجسد ماأشبع صبغه من الثياب . . . والمجاسد جمع مجسد وهو القميص المشبع بالزعفران » (٧) .

---

(١) المخصص ٢١١/١١ لسان ٣٣٦/٦ . (٢) لسان ٢٨٨/٦ .

(٣) المخصص ٢١١/١١-٢١٢ وانظر عن العنبر : لسان ٢٨٨/٦ ، وعن الغمر : لسان ٣٣٦/٦ وعن الغيد : لسان ٣٤١/٣ . (٤) لسان ٩٢/٤ . (٥) فقه اللغة ٢٤٢ .

(٦) كتاب النبات ١٧١ المخصص ٢١١/١١ . (٧) كتاب النبات ١٧٢ لسان ٩٢/٤

ومن خصائص صبغ الزعفران انه . . . اذا مسه الماء ظهرت رائحته (١) لم يكن لبس الزعفران مباحاً للمحرم ، فيقول الشافعي « والسنة ثم اقاويل اكثر مما حفظت عنه من اهل العلم تدل على ان الرجل والمرأة المحرمين يجتمعان في اللبس ويفترقان .. فاما ما يجتمعان فيه يلبس واحد منهما ثوبا مصبوغاً بزعفران ولاورس ، واذا لم يلبس ثوباً مصبوغاً بزعفران ولاورس لانهما طيب وكذلك لو صعدق (؟) زعمران حتى يبيض لم يلبسه المحرمان ، وكذلك لو غمس في نضوح او صياع (صباغ ؟) او غير ذلك وكذلك لو صعدله زعفران حتى يبيض لم يلبسه المحرمان (٢) » ويروى ابن عمر » سمعت رسول الله (ص) ينهى النساء في الاحرام عن القفاز والنقاب وما مس الورس والزعفران في الثياب »(٣) وفي الصحاح الستة احاديث عن عدم جواز لبس المحرم المصبوغ بالورس والزعفران (٤) وهذا يدل على انه من لباس الترف ، ومما يؤيد ذلك قول الجاحظ «اهلك النساء الاحمران الذهب والزعفران »(٥) اما في الاحوال الاعتيادية فقد كانت الالبسة المصبوغة بالزعفران منتشرة بين الصحابة والتابعين وغيرهم من المسلمين وكانت تصبغ به مختلف الملبوسات فقد كان ابن عمر « يلبس الثوب المصبوغ بالمشق والثوب المصبوغ بالزعفران » (٦) .

وذكرت المصادر ازاراً مصبوغاً بالزعفران يلبسه الرسول (٧) والوليد بن يزيد (٨) والحسين (٩) كما ذكرت رداء مصبوغاً بالزعفران يلبسه الوليد بن يزيد (١٠) والقاسم بن محمد (١١) ودراعة مصبوغة بالزعفران كان يلبسها معبد (١٢) واحدى الجواري (١٣) .

---

(١) الام ٢/١٢٧ .
(٢) الام ٢/١٢٦ .
(٣) ابن حنبل ٢/٢٢ .
(٤) انظر فنسنك مادة (زعفران) .
(٥) البخلاء ٩٨
(٦) الموطأ ٢/٢١٥ المدونة ١٠/١٦٩ ابن سعد ٤/١٣٤ ابن حنبل ٦/٩٥
(٧) عيون الأخبار ١/١٩٨ .
(٨) الاغاني ٢/٢١٠ ، ٦/٧٩ .
(٩) انساب الأشراف ٤-٢/٢٢ .
(١٠) الاغاني ٢/٢١٠ ، ٦/٧٩ .
(١١) ابن سعد ٥/١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٤ .
(١٢) الاغاني ١/٤٦ .
(١٣) الاغاني ٢/٢٨١ .

كماذكر مما يصبغ بالزعفران الدرع (١) والملحفة (٢) والخمار (٣) غير ان اكثر مايصبغ بالزعفران هو العمائم فيذكر ابن دريد « كانت سادة العرب تصبغ عمائمها بالزعفران» (٤) وينقل الكليني عن ابي جعفر الصادق انه قال « صبغنا البهرمان ، وصبغ بني امية الزعفران » (٥) .

وفي القرن الرابع الهجري لم يكن يستحسن من المتظرفين وذوى المروءة « لبس الثياب الشنعة الالوان المصبوغة بالطيب والزعفران ، مثل الملحم الاصفر والدبيقي المعنبر ، لان ذلك من لبس النساء ولبس القينات والاماء » (٦) .

يرى فقهاء العراق « ان توخذ الزكاة عما يكتب له غلة في ايدي الناس من الزعفران ونحوه لما بلغ فيما خرج من ذلك خمسة اوسق ادنى مايخرج من الارض»(٧) وهذا قد يدل على انتشار زراعته .

وبالرغم من انتشار استعمال الزعفران في الجزيرة العربية عامة وفي الحجاز خاصة وفي عصر الرسول فان المصادر لم تذكر زراعته في الجزيرة العربية ، مما يدل على انه كان يستورد اليها . واشهر المناطق التي عرفت بزراعة الزعفران في العصور الاسلامية التالية هي :

١ — الروذراور وهو « اقليم حسن وناحية شريفة ينبت فيها الزعفران الذي ليس بجميع الارض له شبه وهو رستاق كبير عظيم يزرع فيه الزعفران مشهور المحل والمقدار ، والمعتبرمنه بموضع يعرف بكرج الروذ راور ، ويرتفع منها من الزعفران مالا يرتفع عن غيرها من مدن الجبال فيتجهز الى العراق وسائر النواحي لكثرته وجودته » (٨) .

٢ — نهاوند ، فيذكر المقدسي ان بها مزارع الزعفران (٩) ويقول ابن حوقل « اليها يرتفع زعفران الروذراور » (١٠) .

٣ — الدينور « وبها زعفران كثير (١١) » .

٤ — قم (١٢) .

٥ — اصفهان ، يذكر الجاحظ ان باصفهان الزعفران (١٣) ويقول ابن رستة

---

(١) الكامل للمبرد ٦٠٣ . (٢) الدارمي : أدب ١٢٨ . (٣) ابن حنبل ٩٥/٦ ، ١٤٥ ابن ماجة ٤٨.
(٤) الاشتقاق ٧٧ . (٥) الكافي ٤٤٨/٦ .
(٦) الموشى ١٧٩ (٧) الحجج : الشيباني ١٢٧ . (٨) ابن حوقل ٣٦٨/٢
(٩) احسن التقاسيم ٣٩٣ . (١٠) ابن حوقل ٣٦٨/٢ . (١١) ابن حوقل ٣٦٨/٢ .
(١٢) لطائف المعارف ١٨٣ ، ٢٨٩ ثمار القلوب ٥٣٧. (١٣) التبصر بالتجارة ٢٥.

« وبها من الزعفران الذي وان كان في غيرها من البلدان موجوداً فان فضله على كل ما من سائر المواضع منه ظاهر ، لانه اذكى رائحـــة وأبين نفعاً واشبع صبغاً في كل مايستعمل ، ولايبتاع في شيء من المواسم والاسواق التي يجلب اليها شيء منه مايوجد زعفران اصفهان (١) « وكتب الحجاج لاحد ولاته ان اصفهان حشيشها الزعفران والورد (٢) . »

٦- واشجرد وشومان الى قرب الصغانيان « يرتفع منها زعفران كثير يحمل الى كثير من النواحي والبلدان (٣)» .

الورس :

لقد ذكرنا من قبل قول ابن سيدة « الاصفران الورس والزعفران (٤) » ويقول الثعالبي « ثوب اذا كان مصبوغاً بالورس وهو اخو الزعفران(٥)ويقول ابن حوقل «الورس وهو نبات احمر في معنى الزعفران » (٦) وفي المصادر نصوص اخرى تذكر صفرة الورس والزعفران ، فقد جاء في حديث نبوي «فليغيره بصفرة ورس او زعفران » (٧) .

كما ورد ذكر تصفير اللحية بالورس والزعفران (٨) ، والورس اصفر خالص الصفرة ، ويقال للشيىء بصفر قد اورس حتى كأنه الورس (٩) وقد وردالورس في عدة احاديث ذكر في جميعها مع الزعفران (١٠) كما ذكرا معا في بعض كتب الفقه (١١) غير ان احاديث كثيرة ذكر فيها الزعفران منفرداً مما قد يدل على ان الورس كان اقل انتشاراً من الزعفران غير ان تردد ذكره و كثرة اسمائه يدلان على انه كان واسع الانتشار ايضاً ، وان كان بدرجة اقل من الزعفران .

---

(١) الاعلاق النفسية ١٥٧ .

(٢) محاسن أصفهان للما فرخى ٧ أخبار أصبهان لابي نعيم ٣٧/١ لطائف المعارف ١٨١ .

(٣) الاصطخري ١٦٢ ، ١٦٧ ابن حوقل ٤٧٧/٢ . (٤) المخصص ٢٠٩/١١

(٥) فقه اللغة ٢٤٢ . (٦) ابن حوقل ٣٧/١ .

(٧) الدارمي : وضوء ١٠٥ . (٨) ابوداود : ترجل ١٩ ، النسائي : الزينة ٦٩

(٩) المخصص ٢٠٩/١١ . (١٠) انظر فنسنك مادة (ورس)

(١١) انظر : المدونة ١٦٩/١٠ الام ١٢٦/٢ .

والورس يسمى ايضاً الحصى (١) اما النوع الجيد منه فيسمى القنديد (٢) وفي العربية كلمات اختلف اللغويون في اطلاق كل منها على الزعفران او الورس مثل العنبر (٣) .

والورس من اصباغ الزينة ، وكان مالك يكرهه للمحرم (٤) .

وقد ذكرت ملحفة مورسة على عائشة (٥) كما ذكر الاغاني درأعة مورسة (٦) يقول ابو حنيفة الدينوري « الورس ليس ببري ، يزرع سنة فيجلس عشر سنين ، اي يقيم في الارض ولايتعطل . ونباته مثل السمسم فاذا جف عند ادراكه تفتقت خرائطه فينفض منه الورس (٧)» ويقول ايضاً « الورس ضربان : البادرة والعتيقة ، فالبادرة الذي لم يعتق شجره ، وهو الافضل ، والعتيقة الذي عتق شجرة وقيل البادرة الحديث النبات وفي صبغها حمرة ، والاخر الحبش لسواد فيه وهو اخر الورس وقيل هو اصفر خالص الصفرة » (٨) .

ويقول النويرى « واما الورس فهو ما يسقط بارض الصين والهند والحبشة وارض اليمن ، على ورق مشجر ، ياكل الباذروج فتجمع الشجره بما عليها منه وتلقى في الشمس حتى تنشف ثم تنفض على انطاع الادم فيسقط ورقها وعليه الورس متعلقا به ولونه احمر ، فاذا طحن صار اصفر ، واجوده الهندي ثم الحبشي ثم اليماني »(٩) .

ان قول النويري ان الورس يسقط بارض الصين والهند والحبشة لم يرد في المصادر الاخرى التي تردد ، وخاصة القديمة منها ، ان الورس يزرع في اليمن فيقول الاصمعي « اربعة اشياء قد ملأت الدنيا لاتكون الا باليمن : الورس والكندر والخطر والعصب»(١٠) ويقول الجاحظ« من اليمن الكندر والخطر والورس (١١) ويقول الثعالبي ان الورس « لايكون الا باليمن»(١٢) ويقول ابن منظور «الورس نبت اصفر يكون باليمن » (١٣) ويذكر ابن خرداذبه انمما يجيئ من اليمن الورس(١٤)

وفي كتب التاريخ والادب اشارات الى الورس الذي يصدر من اليمن ، فيذكر اليعقوبي ان « الحسين اقبل حتى مر بالتنعيم فلقي بها عيرا قد اقبل بها من اليمن

(١) كتاب النبات ١٦٦ المخصص ٢٠٩/١١ (٢) المخصص ٢١١/١١ لسان ٣٧١/٤ .
(٣) المخصص ٢١١/١١ لسان ٢٨٨/٦. (٤) المدونة ١٢٢/٢ . (٥) ابن سعد ٥١/٨ .
(٦) الاغاني ١٨١/٢ . (٧)كتاب النبات ١٦٥ لسان ١٤١/٨ . (٨) كتاب النبات ١٦٥ . المخصص ٢٠٩/١١ . (٩) نهاية الارب ٣٢٥/١١ . (١٠) عيون الاخبار ١٠٩/٢ .
(١١) التبصر بالتجارة ٢٢ . (١٢) فقه اللغة ٢٤٢ . (١٣)لسان ١٤١/٨ (١٤) المسالك ٧١.

بعث بها بحير بن ريسان الحميري الى يزيد بن معاوية ، وكان عامله على اليمن وعلى العير الورس والحلل ينطلق بها الى يزيد (١) .

ويقول الاصبهاني « وكانت جمال عمان تحمل الورس من اليمن الى عمان فتصفر (٢) .

ذكرت بعض المصادر المناطق التي يزرع فيها الورس في اليمن وهي :—

١–يذكر الدينوري « اخبرني ابن بنت عبد الرزاق قال : الورس عندنا باليمن بحفاش وملحان ، وبطمام ، وشجنان ، وبالرقعة ونجران ، وبهوزن ، وبجبال ابن ابي جعفر كلها » (٣) .

٢ – واديا شيعان وضع ، وهما في مخلاف اليحصبان قرب المعافر « وفيهما الورس الناهي » (٤) .

٣ – نشق ، وهي من همدان « بلدة كثيرة الزرع والورس والعسل » (٥).

٤ – وادي الجنات وهو يقع في الجنوب الغربي من اليمن ويصب في جهة باب المندب « وهو كثير السيول والمآجل والمسايل ، فيه الاعناب والورس مختلطة في اعاليه . . . » (٦) .

٥ – المذيخرة وهو جبل في اعلاه مزارع ومياه ، وفيه ينبت الورس . . . يباع منوان بدينار فيصبغ به (٧) .

٦ – دامغ هو مابين صنعاء وذمار كثير الأنهار الجارية وكان يصلح فيه ايام حمير شجر الورس وسائر الفواكه (٨) .

٧ – عدن التي يذكر المقدسي ان ورسها مشهور (٩) .

---

(١) التاريخ ٢٧٧/٢ .
(٢) الاغاني ٨١/١٧ .
(٣) كتاب النبات ١٦٥ .
(٤) صفة جزيرة العرب ٦٨ ، ١٠١ .
(٥) صفة جزيرة العرب
(٦) صفة جزيرة الادب ٧٦ .
(٧) ابن حوقل ٣٧/١ وانظر المستبصر ١٨٣/٢ .
(٨) الاكليل ٧٣/٨ .
(٩) احسن التقاسيم ٩٨ .

اللون الاحمر

اللون الاحمر من الالوان الشائعة عند العرب ،وقد قالوا «الحمرة ثياب الشهرة» وقال العتابي « جمال كل مجلس ان يكون سقفه احمر ، وبساطه احمر » (١) وكان العرب اذا سودوا رجلا عمموه عمامة حمراء (٢) « وكانت التيجان للملوك ، والعمائم الحمر للسادة من العرب قال الازهري كان يحمل الى البادية من هراة عمائم حمر يلبسها اشرافهم(٣) . »

والاحمر هو لون عدة منسوجات واقمشة : منها القطرية (٤) .

والتزيدية (٥) ويقول ابن منظور ان فيها خطوطاً حمراء (٦) .

والوصائل وهي ثياب حمراء يجاء بها من اليمن (٧) ، وقد ورد في بعض الاحاديث ان الرسول (ص) استعملها (٨) .

ويروي ابن حنبل عن ابن عباس ان الرسول نهاه عن لبس الحمرة (٩) ، وفي رواية اخرى نهاه عن الميثرة الحمراء (١٠) والعقل ضرب من الوشي وفي المحكم من الوشي الاحمر وقيل هو ثوب احمر يجلل به الهودج (١١) .

وكانت اللبود المغربية حمراء (١٢) .

وقد ذكرت المصادر عدداً من الملبوسات الحمراء منها .

الملاحف وقد استعملها علي بن الحسين (١٣) ومحمد بن علي (١٤) وابراهيم النخعي (١٥) وابراهيم التيمي (١٦) والعمائم وقد لبسها الشعبي(١٧) كما لبس عمامة لها علم احمر كل من سعيد بن المسيب (١٨) ومحمد بن علي (١٩) .

---

(١) الحيوان ٩٥/٥ . (٢) لسان ٢٢٠/١٥ .(٣) لسان ٩٧/٢ .
(٤) لسان ٤١٧/٦ .(٥)ديوان الهذليين ١٠/١ .(٦)لسان ١٨٤/٥ وانظر القاموس المحيط ٢٩٩/١
(٧) المعاني الكبير ٩١٨/٢ . (٨) انظر الترمذي ٤٥/١ ابن ماجة ١٩٧/٢ .(٩) حنبل ١٥/١
(١٠)حنبل ١١٩/١ .(١١)لسان ٤٩١/١٣ .(١٢)التبصر بالتجارة ١٨ .(١٣) ابن سعد ١٦١/٤
(١٤) ابن سعد ٢٣٦/٥ . (١٥) ابن سعد ١٨٦/٦ ، ١٩٦–٧ (١٦) ابن سعد ١٧٦/٥ .
(١٧) ابن سعد ١٧٦/٦ . (١٨) ابن سعد ١٠٢/٥ . (١٩) ابن سعد ٢٣٧/٥ .

وازار على احدى النساء (١) .

ومطرف خز وجبة خز على عبد الله بن عمر (٢) والفرزدق (٣) .

ودراعة خز للشعبي (٤) .

وافرشة خز لهشام بن عبد الملك (٥) .

وجبة على عبد الله بن عمر وعثمان (٦) .

ودرع وثياب على عائشة (٧) .

ومستقة على حنين (٨) .

وملاءة على ابراهيم النخعي (٩) .

وبرد على المنذر بن الجارود (١٠) .

ويقول ابن منظور عن مضر « ويقال كان شعارهم في الحرب العمائم والرايات الحمر» (١١) ذكر ابو الفرج الاصفهاني ان الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك « ضرب له سرادق من حبرة كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن ، وفيه فسطاط فيه اربعة افرشة من خز احمر مثلها مرافقها ، وعليه دراعة من خز احمر مثلها عمامتها»(١٢) ويقول القاضي الرشيدي«وكان هشام وبنو مروان يكسون الناس الخز إلا الاصفر والاحمر ،ويكسونهم ماسوى ذلك من الالوان ويدخرون الاحمر والاصفر لانفسهم » (١٣) ويذكر الازدي ان مروان بن محمد في معركة الزاب كانت « عليه ثياب حمر» (١٤) غير ان هذا لايعني ان شعار بني امية كان الحمرة او انهم احتكروه لانفسهم .

فيذكر الكليني انابا جعفر قال «صبغنا البهرمان وصبغ بني امية الزعفران(١٥)» ومن المعلوم ان البهرمان احمر والزعفران اصفر .

---

(١) اغاني ٣١٥/٢ .

(٢) الاغاني ٥١/١٩ .

(٣) الفرزدق .

(٤) ابن سعد ١٧٦/٦ .

(٥) الأغاني ١٣٦/٢ .

(٦) الأغاني ٥١/١٩ .

(٧) ابن سعد ٤٩/٨ ٥٠ .

(٨) الأغاني ٣٥٠/٢ .

(٩) ابن سعد ١٩٦/٦ .

(١٠) البيان والتبيين ٥٩/٣ .

(١١) لسان ٢٦/٧ .

(١٢) الاغاني ١٣٦/٢ .

(١٣) الذخائر والتحف ٢١١ .

(١٤) تاريخ الموصل ١٢٨ .

(١٥) الكافي ٤٤٨/٦ لسان ٣٢٧/١٤ .

وفي القرن الرابع الهجري كان « لبس المورد والاحمر والسنيري الاخضر انما هو لبس النساء النبطيات ولبس الاماء المتقينات »(١) ومن زي المتظرفين واهل المروءة والادب ان يلبسوا نعالا «يشرك اسودها باحمرواصفرها باسود . . . ويعيبون لبس الاحمر من الخفاف » (٢) .

وفي القرن الرابع الهجري كان الذي جرت به العادة ان يكون جلوس الخليفة في الحفلات بالبسة رسمية منها « ان يلبس خفاً احمر » (٣) ومما ينكردخول الداخل الى دار الخلافة بنعل او خف احمر ولالكة حمراء ، لان الاحمر لباس الخليفة وبعده الخوارج عن الطاعة ، واتفق ان دخل ابن ابي الشوارب القاضي — وكان من جلة القضاة وممن يرجع نسبه الى بني امية — دار المطيع لله رحمة الله عليه ؛ بخف احمر ، ورآه المكنى ابا الحسن بن ابي عمرو الشرابي الحاجب ، وكانت بينهما عداوة ، فقال له : تأتي ايها القاضي الى خليفة ابائك في العنادة المباينة . وعرف المطيع لله ذلك فلم ينكره ، وانصرف ابن ابي الشوارب الى داره فاحتجب فيها ولم يخرج منها حياء وكمدا ، وكانت وفاته عقب هذا القصة » (٤)

لانعلم متى بدأت عادة لبس الخليفة الخف الاحمر في المناسبات الرسمية ، ولا سبب منشئها ، .

يقول الازدي ان في سنة ١٣٣ « خرج ابو محمد السفياني فلبس الحمرة هو وجنده »(٥) ولم يذكر مصدر اخر لون لباسه .

ويذكر الطبري في حوادث سنة ١٦٠ « فيها ظهرت الحمرة بجرجان ، عليهم رجل يقال له عبد القهار فغلب على جرجان وقتل بشراً كثيراً ، فغزاه عمرو بن العلاء من طبرستان فقتل عبد القهار وولده » (٦) وان الاسم العربي للقائد قد يدل على ان هذه الفرقة لاعلاقة لها بالخرمية (٧) .

---

(١) االموشى ١٨٤ .　　(٢) الموشى ١٧٩ .

(٣) الصابي : رسوم دار الخلافة ٩٠ .　　(٤) رسوم دار الخلافة ٧٥-٦

ويلاحظ أن الملوك الساسانيين كانوا يلبسون الخف الاحمر (حمزة الاصفهانـــي ٥٥) وكذلك الاباطرة البيزنطيون

(٥) تاريخ الموصل ١٤٢ وانظر مقال الدكتور فاروق عمر : الالوان ودلالتها السياسية .

(٦) الطبري ٤٩٣/٣ .

(٧) انظر صديقي : الحركات الدينية الايرانية ٢٢٥ (بالفرنسية) .

وقد اشتهرت في التاريخ الاسلامي فرقة واحدة اتخذت الحمرة شعاراً لها هي المحمرة فيقول البغدادي عند كلامه عن فرق المزدكية وان منهم « الخرمدينية ، ظهروا في دولة الاسلام وهم فريقان : بابكية ومازيارية ، وكلتاهما معروفة بالحمرة فالبابكية منهم اتباع بابك الخرمي الذي ظهر في جبل بناحية اذربيجان وكثر اتباعه ... اما المازيارية فهم اتباع مازيار الذي أظهر دين المحمرة بجرجان »(١) ويقول السمعاني «المحمرة طائفة من البابكية الخرمدينية(٢)» ويذكر المسعودي الجاوذانية اصحاب جاوذان بن شهرك الخرمي صاحب بابك (٣) وان « المحمرة من الخرمية (٤) كما يذكر المحمرة والحزمية (٥) ويقول الطبري انه في سنة ٢٠١ « تحرك بابك الخرمي في الجاويذانية اصحاب جاويذان بن سهل صاحب البذ وادعى ان روح جاويذان دخلت فيه (٦)

واللون الاحمر درجات عرف العرب كثيراً منها واطلقوا على كل منها اسماً خاصاً كما ذكرنا من قبل ، وقد اجملها ابن منظور بقوله « الارجوان هو الشديد الحمرة ، ولا يقال لغير الحمرة ارجوان ، والبهرمان دونه بشئ من الحمرة ، والمفدم المشبع حمرة ، والمضرج دون المشبع ، ثم المورد بعده (٧)

« ويقول في موضع آخر المضرج دون المفدم ، وبعده المورد (٨) .

الارجوان :

لقد ورد ذكر الارجوان في بعض الاشعار .فقال حميد بن ثور :

تخيرن اما ارجواناً مهذبا   واما سجلاط العراق المختما (٩)

وقال آخر :   كان الارجوان على ذراها   وديباج العراق دم نمير (١٠) .

---

(١) الفرق بين الفرق ١٦١ .

(٢) الانساب ٥٠٦ ب .

(٣) التنبيه والاشراف ٣٠٦ .

(٤) التنبيه والاشراف ٣٠٧ .

(٥) التنبيه والاشراف ١٤٤ .

(٦) الطبري ١٠١٥/٣.

(٧) لسان ٣٢٧/١٤ .

(٨) لسان ٢٤٦/١٥ .

(٩) لسان ١٨٤/٩ .

(١٠) ديوان الهذليين : مقطوعة ٢٧١ .

وهذا قد يدل على ان الارجوان كان معروفاً في العراق بكثرة : ويذكر ابو داود « الارجوان الاحمر من الديباج وكانت مراكب العجم »(١) .

ويروى ابن حنبل عن عمران بن الحصين ان رسول الله ص قال لاارکب الارجوان ولا البس المعصفر ولا البس القميص المكفف بالزينة (٢) .

ويروى ابن حنبل ايضاً ان ابن عمر كان يحرم العلم في الثوب ، وميثرة الارجوان وصوم رجب (٣) ويبدو من نص ابن حنبل ان النبي لم يحرمه ، ولكن ابن عمر هو الذي يرى انه حرام ولكن هذا النفور — لم يرد الى امتناع الناس عن استعماله ، فقد كان على سعيد بن المسيب برنس ارجوان يوم الاضحى (٤) وان عثمان بن عفان غطى وجهه بقطيفة حمراء ارجوان وهو محرم (٥) يقول البيروني « قال ابن دريد في الارجوان انه فارسي معرب ، وهو اشد الحمرة ، ويقال له القرمز ، وانه اذا بولغ في نعت الحمرة مثل ثوب ارجوان وثوب بهرماني . . والارجوان لباس قياصرة الروم ، وكان لبسه فيما مضى محظوراً على السوقة (٦) اما البهرمان ، فقد ذكرنا من قبل قول ابن منظور انه دون الارجوان بشيئ من الحمرة (٧) .

ويقول الجاحظ : وخير الياقوت البهرماني ثم الاحمر المورد ثم الاصفر ثم الاسمانجوني »(٨) .

ويذكر البيروني تفاصيل عن البهرمان ولونه الاحمر ، فيقول « ولون الياقوت الاحمر يترتب فيما بين طرفين احدهما اقصى الغاية المطلوبة منه ، والاخر اقصى الرذالة التي تسقط عندها الرغبة فيه فأجوده الرماني ثم البهرماني ثم الارجواني ثم اللحمي ، ثم الجلناري ، ثم الوردي »(٩) ويضيف البيروني بعد ذلك « وقد قيل في الرماني والبهرماني انهما صفتان لموصوف واحد ، الا ان الاول برسم اهل العراق ، والاخر برسم اهل الجبل وخراسان ، وشهد لهذا ترتيب الكندي الوانه ، فانه جعل البهرماني اعلى درجاته . . . وابتدأ بالوردي آخذا من جنبه البياض الى لون الورد ووضع الخيري فوقه لفضل حمرته على الوردي وزيادة الفرفيرية فيه ،

---

(١) ابو داود ٨٦/٤ .
(٢) ابن حنبل ٤٤٢/٤ .
(٣) ابن حنبل ٢٦/١ .
(٤) الام ٢٠٦/١ ابن سعد ١٠٢/٥ .
(٥) لسان ٣٢٧/١٤ .
(٦) الجماهر ٣٧ .
(٧) لسان ٣٢٧/١٤ .
(٨) التبصر بالتجارة ٩ .
(٩) الجماهر ٣٣ .

وهي كالبد مسجية تأخذ من الوردية الى انتبلغ مشابه وردة الحيري ، وفوقه الاحمر العصفري في صبغ العصفر انناصع المشرق التابع للزردج ، ثم البهرماني العصفري الخالص الذي لايشوبه شيىء من النشاستج الزردج ، يتفاضل من عند الاحمر الى ان ينتهي الى عند الضاية وهي البهرماني وقيل في كتاب مجهول ان خير اليواقيت البهرماني ثم المورد .

وقيل في الارجواني انه شديد الحمرة ، فان كان دونه فهو بهرماني ، والبهرمان هو العصفر يقال ثوب مبهرم اي معصفر (١) .

العصفر :

لقد نقلنا اعلاه قول البيروني ان البهرمان هو العصفر ، وقد ذكرت هذا عدة مصادر ومما يدل على حمرة العصفر قول الجاحظ « سواد السبيح ، وبياض الثلج وحمرة العصفر ، وصفرة الذهب » (٢) والعصفر من أكثر الالوان ذكرا في المصادر العربية التي ذكرت كثيراً من الالبسة المصبوغة به كما ان كتب اللغة ذكرت له اسماء كثيرة ، مما يدل على انتشار استعماله عند العرب في صدر الاسلام خاصة . ويقول الدينوري « العصفر هو الذي يصبغ به ، منه ريفي ومنه بري ، وكلاهما ينبت بارض العرب » (٣) غير اني لم اجد في المصادر العربية ذكرا للمناطق التي كان يزرع بها من جزيرة العرب بالتخصيص ، علما بان كثرة استعماله يدل على مدى توفره في الجزيرة العربية .

نقل البيروني « وقال السري الرفاء في كتاب الشموم ان العصفر لغة حميرية وقال حمرة العصفر معرب وفارسيته هسكو » .(٤)

يقول ابوحنيفة «ويقال للعصفر الاحريض والخريع والبهرم والبهرمان والمريق »(٥) ويدعى حب العصفر القرطم(٦) وتدعى سلافة العصفر الجريال والعرب تسمى اللون الاحمر جريالا وانشد

وسبيئة مما تعتق بابل كدم الذبيح سلبتها جريا لها

---

(١) الجماهر ٣٤-٣٥ (٢) الحيوان ٥/٨ . (٣) ابوحنيفة الدينوري كتاب النبات ١٦٧ وانظر أيضاً لسان ٧/٢٥٧ جامع الادوية ٣/١٢٥

(٤) الجماهر ٣٥ . (٥) كتاب النبات ١٦٨ وانظر ايضاً لسان ٧/٢٥٧ جامع الادوية ٣/١٢٥ وانظر عن ترادف كلمة العصفر مع الاحريض .لسان ٨/٤٠٤ جامع الادوية المفردة ٤/٤٠٤ وعن الخريع لسان ٩/٤٢٢ وعن المريق المخصص ١١/٢١٠ لسان ١٢/٢١٨ جامع الادوية المفردة ٤/١٥٤ (٦) المخصص ١١/٢١٠ لسان ١٥/٣٧٦ جامع الادوية المفردة ٣/١٢٥ ، ٤/١٥ .

فجعل الجريال لونها . . . وقيل الجريال ماخلص من لون احمر وغيره وانشد .

اذا حردت يوما حسبت قميصه   عليها وجريال النضير الدلاحصا(١)

وهذا يؤيد ان العصفر احمر .

يقول الدينوري « وللعصفر شبابان ، احدهما القلى والآخر حب الرمان ، والشباب مايوقد لونه ويشده فيشبه كما تشب النار . . . و بالسراة شجرة تسمى الحلق تنبت نبات الكرم وترتقى في الشجر ، لها ورق حامض ، فيؤخذ ورقها فيطبخ فيجعل ماؤها في العصفر فيكون خيراً له من حب الرمان ، ويجفف ورقها فيحمل في البلاد لهذا من الشأن ، وحب الرمان عندهم كثير ، ولاسيما مايكون منه بنواحي عمان في منتهى الجودة » . (٢)

وقد اثار استعمال المعصفرات نقاشا في الاوساط الدينية، فرويت بعض الاحاديث التي تدل على عدم اقرار استعمالها، فيروى هشام الدستوائي بسند عن عبدالله بن عمرو ان رسول الله (ص) راى عليه ثوبين معصفرين، قال ان هذه لثياب الكفار فلاتلبسها»(٣).

ويروى ايضا ان الرسول (ص) راى « علي عبدالله بن عمرو بن العاص ثوبين معصفرين فقال املك امرتك بهذا ؟ فقال اغسلهما يارسول الله ، فقال رسول الله احرقهما (٤) ويذكر الجاحظ « ورد في الحديث لاتبيتوا في المعصفر فانها محتضرة (٥)» ويروى ابو بكر بن ابي شيبة عن وكيع عن اسامة بن زيد عن عبدالله بن حنين « سمعت علياً يقول نهاني رسول الله . ولا اقول نهاكم عن لبس المعصفر »(٦) .

ويروي عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده « اقبلنا مع رسول الله (ص) من ثنية اذاخر فالتفت اليّ وعليّ ريطه مضرجة بالعصفر ، فقال ماهذا ، فعرفت ماكره ، فاتيت اهلي وهم يسجرون تنورهم فقذفتها فيه ، ثم اتيته من الغد ، فقال ياعبد الله للنساء(٧). مافعلت الربطة فاخبرته ، فقال الا كسوتها بعض اهلك ، فانه لابأس بذلك

ويروى عن مالك انه يقول «في الملاحف المعصفرة في البيوت للرجال وفي الافنية قال لااعلم من ذلك شيئاً حراما ، وغير ذلك من اللباس احب الي »(٨) « وكان يكره مالك الورس والزعفران والعصفر المفدم الذي ينتفض ، ولم ير بالمشق والموردبأسا(٩).

---

(١) كتاب النبات ١٦٨ — ٩ المخصص ٢١٠/١١ لسان ٢٥٧/٧ .

(٢) كتاب النبات ١٧٠ وانظر ايضاً المخصص ٢١٠/١١ لسان ٣٥٢/١٢ .

(٣) ابن سعد ٤—١١/٢ ابن حنبل ٢٠٧/٢. (٤) ابن سعد ٤—١١/٢ (٥) الحيوان ٥٧/٤ .

(٦) ابن ماجة ١٩٧/٢ الكافي ٤٤٧/٦ . (٧) ابن ماجة ١٩٧/٢ . (٨) الموطأ ٢١٥/٢ .

(٩) المدونة ١٢٢/٢ .

ويروي ابن سعد عن ابي جعفر محمد بن علي « قال إنا آل محمد نلبس الخز والعصفر والممصر واليمنة »(١) ويروى عن ابي جعفر انه قال « انا نلبس المعصفرات والمضرجات »(٢) وانه قال صبغنا البهرمان وصبغ بني امية الزعفران »(٣) ويقول الكليني « لاباس بالمعصفر » (٤) .

والواقع ان العرب وخاصة في الحجاز ، كانوا يستعملون المعصفر بدليل كثرة ذكر المصادر وخاصة كتب الفقه ، للالبسة المعصفرة .

فقد ذكرت هذه المصادر الثياب المعصفرة وقد لبسها كل من عبد الله بن عمر (٥) كما ذكرت الملاحف المعصفرة وقد لبسها كل من عمر بن الخطاب (٦) ومحمد ابن الحنفية(٧) وخارجة بن زيد (٨) وعروة بن الزبير (٩) والقاسم بن محمد (١٠) وعمر بن ابي ربيعة(١١) .

وقد ورد ذكر الرداء المعصفر ، كان على عروة بن الزبير (١٢) وعلى جارية لسليمان بن عبد الملك التي كانت تلبس غلالة معصفرة (١٣) .

كما ذكرت الريطة المضرجة بالعصفر (١٤) ، وذكرت المقدمة(١٥) والمشبعة (١٦)

ويذكر الوشاء انه في القرن الرابع الهجري كان المتظرفون وذوو المروءة « قد يلبسون من العضد والعلاجات ووقت الشراب والخلوات الازر المعصفرة (١٧) .

اما في الاحرام فقد وردت اشارات متناقضة عن استعماله ، فان مالك قال « قال مالك اكره الثوب المفدم بالعصفر للرجال والنساء ان يحرموا في ذلك ، قال لانه ينتفض »(١٨) غير ان عروة « كره المفـــدم للمحرم ولم ير بالمضرج المبهرم

(١) ابن سعد ٥/٢٣٦ . (٢) الكافي ٦/٤٤٧ .
(٣) الكافي ٦/٤٤٨ لسان ١٤ / ٣٢٧ . (٤) الكافي ٦/٤٤٧ .
(٥) ابن سعد ٤-٢/١١ ، ٥/١٥٠ ، ٢٣٦ وانظر ايضاً المدونة ٥/١١٣. ابن حنبل ٢/٢٠٧ .
(٦) ابن سعد ٣-١/٢٣٧ . (٧) ابن سعد ٥/٨٤ . (٨) ابن سعد ٥/١٩٤ .
(٩) ابن سعد ٥/١٣٤ . (١٠) ابن سعد ٥/١٤٢ .
(١١) اغاني ٨/١٧٨ وانظر عن الملاحف المعصفرة الموطأ ٢/٢١٥ . (١٢) ابن سعد ٥/١٣٤ .
(١٣) اغاني ٤/٢٧٥ . (١٤) الكافي ٦/٤٤٧ ابن ماجة ٢/١٩٧ .
(١٥) ابن ماجة ٢/١٩٧ المدونة ٢/١٢٢ الكافي ٦/٤٤٧. (١٦) الام ٢/١٢٦ ابن حنبل ٢/١٠٠.
(١٧) الموشى ١٧٩ . (١٨) المدونة ٢/١٢٢.

بأسا (١) وقد روي عن اسماء بنت ابي بكر انها كانت تلبس المعصفرات المعشبات وهي محرمة ليس فيها زعفران » (٢) .

اما في الحداد فيروي مالك بسند عن القاسم بن محمد عن عائشة انها قالت « لايحل لمؤمنة تحد على ميتة فوق ثلاثة ايام الاعلى زوج فانها تعتد اربعة اشهر وعشرا ، لاتلبس معصفرا ولا تقرب طيبا ولا تكتحل ولا تلبس ان شاءت ثياب العصب » (٣) .

المفدم :

ذكرنا فيما سبق ان العرب عرفوا درجات من اللون الاحمر اعلاها الارجواني ثم البهرمان الذي يتلوه المفدم الذي يذكر ابن منظور عن المفدم من الثياب المشبع حمرة ، وقيل هو الذي ليست حمرته شديدة ، واحمر فدم مشبع ، قال شمر : المفدمة من الثياب المشبعة حمرة . وثوب فدم اذا اشبع صبغه ، وثوب فـدم اذا كان مصبوغاً بحمرة مشبعا . . . وفي الحديث انه نهى عن الثوب المفدم هو المشبع حمرة ، كان الذي لايقدر على الزيادة عليه لتناهي حمرته ، فهو كالممتنع من قبول الصبغ ومنه حديث علي : نهاني رسول الله (ص) ان اقرأ وانا راكع ، ولبس المعصفر المفدم ، وفي حديث عروة انه كره المفدم للمحرم ، ولم ير بالمضرج باسا (٤) وقد ورد المفدم في الحديث مقترنا بالعصفر ، مما يدل على ان الكلمة تطلق على اللون ، وليس على مادة معينة ، وان المفدم هو صبغ عصفر ايضاً وقد كره بعض الفقهاء استعمال المفدم فيروى عن ابن عمر انه قال « نهى رسول الله (ص) عن المفدم »(٥) .

وكان مالك يكره الورس والزعفران والعصفر المفدم الذي ينتفض ، ولم ير بالمشق والمورد باسا (٦) كما كان جعفر الصادق يكره المفدم الا للعروس (٧) .

---

(١) لسان ١٤ / ٣٢٧ . (٢) الام ١٢٦/٢ . (٣) المدونة ١١٣/٥ .

(٤) لسان ٢٤٦/١٥ وانظر أيضاً ٣٢٧/١٤ وانظر ايضاً فنسنك . مادة (فـدم) ويقول الحسن ابن سهل ان المفدم المشبع صفرة (حنبل ١٠٠/٢)

(٥) ابن حنبل ١٠٠/٢ ابن ماجة ١٩٧/٢ . (٦) مدونة ١٢٢/٢ . (٧) الكافي ٤٤٧/٦ .

المضرج والمورد :

لقد ذكرنا من قبل ان ابن منظور يذكر « المفدم وهو المشبع حمرة،والمضرج دون المشبع ، ثم المورد بعده » (١) كما اشرنا الى حديث عروة « انه كره المفدم للمحرم ، ولم ير بالمضرج بأسا (٢) ويظهر ان المضرج كان قريباً من المورد الى درجة جعلت البعض يعتبرهما واحداً فيروى ابن سعد بسند عن ابي عامر الخزاز عن عبد الله بن ابي مليكة « قال رأيت على عائشة ثوباً مضرجا ، فقلت وما المضرج ، فقال هذا الذي تسمونه المورد » (٣) .

والمضرج قريب الشبه بالعصفر ، فقد ورد في كتب الحديث حديث عن جد عمرو بن شعيب جاء فيه « فاذا علي ريطة مضرجة بالعصفر » (٤) وقال ابو جعفر محمد بن علي « لاتصلوا في المشبع المضرج (٥) وقال ايضاً « انا نلبس المعصفرات والمضرجات (٦) .

اما المورد فقد كانت لون ثياب النساء غالباً ، فقد ذكر منه درع على عائشة (٧) وازار استعمله كل من الشعبي (٨) والحسن(٩) والوليد الثاني (١٠) والزرقاء (١١) وذكر من المورد ثوب كان على عائشة (١٢) ورداء على الزرقاء (١٣)كما ذكرت ملحفة موردة على الشعبي (١٤) ، وعلى الشاعر ابن ميادة (١٥).

ومما يصبغ بالمورد الكتان (١٦) والقوهي (١٧) وفي القرن الرابع الهجري كان «لبس المورد والاحمر والسنيري الاخضر انما هو لبس النساء النبطيات ولبس الاماء المتقينات (١٨) .

اصباغ حمراء اخرى :

القرمز :

القرمز صبغ حيواني (١٩) احمر اللون (٢٠) ومن خصائصه انه لايصبغ به الا

---

(١) لسان ١٤/٣٢٧ ، ١٥/٢٤٦ .

(٢) لسان ١٥/٢٤٦ . (٣) ابن سعد ٨/٤٩ . (٤) انظر فنسنك . مادة (ضرج) .

(٥) الكافي ٦/٤٤٨ . (٦) الكافي ٦/٤٤٧ . (٧) ابن سعد ٨/٣٥٨،٣٦٣ .

(٨) ابن سعد ٦/١٧٧ . (٩) انساب الاشراف ٤-٢/٢٢٩ . (١٠) الاغاني ٩/٢٦٣ .

(١١) الاغاني١٣/١٥ . (١٢) ابن سعد ٨/٤٩ . (١٣) الأغاني ١٣/١٥ .

(١٤) ابن سعد ٦/١٧٧. (١٥)الأغاني ٢/١١١. (١٦) ابن سعد ٦/١٧٧. (١٧) الأغاني ١٣/١٥

(١٨) الموشى ١٨٤ . (١٩) المخصص ١١/٢١٢ لسان ٧/٢٦ نهاية الارب للنويري ١١/٣٢٦.

(٢٠) الحيوان ٥/٩٤ .

ماكان من حيوان كالحرير والصوف (١) ويذكر الجاحظ انه «زعم ان القرمز حشيشة . تنبت في ثلاثة مواضع من الارض ، في ناحية المغرب بارض الاندلس وفي رستاق يقال له تارم ، وفي ارض فارس ولا يعرف هذه الحشيشة واماكنها الافرقة من اليهود يتوارثون قلعها كل سنة في ماه اسفندار مذتيبس تلك الدودة . . . وخير مايصبغ في « الأماكن بارض واسط (٢) .

الشرف:

الشرف هو طين احمر . . . وقال الليث الشرف له صبغ احمر يقال له الدار برينات . . . قال ابن الاعرابي هو نبت احمر تصبغ به الثياب (٣) وكانت الثياب العمرية مصبوغة به (٤) وهي التي كان عمر بن عبيد الله بن معمر يقسمها على اهل المدينة (٥) وكانت عائشة بأسالاترى بالخمار يصبغ بالشرف (٦) ويسمى الثوب المصبوغ بالشرف ثوب مشرف (٧) .

الممشق:

ومن الالوان الحمراء التي تردد ذكرها هي الممشق والمغره .

يقول ابن منظور « الممشق المغره ، وهو صبغ احمر ، وثوب ممشوق وممشق مصبوغ بالمشق . الليث المشق طين احمر يصبغ به الثوب (٨) ويقول ايضاً المغره طين احمر يصبغ به ؛ وثوب ممغر مصبوغ بالمغره . . . والمغر والمغره لون الى الحمرة . . . وقيل الاصفر وليس بناصع الحمرة وليست الى الصفرة وحمرته كلون المغره . . . كلون الشقرة . . . والاشقر الاقهب دون الاشقر في الحمرة وفوق الافضح . . . وقيل المغر حمرة ليست خالصة . . . المغره المدر الاحمر الذي يصبغ به (٩) وينقل ابن البيطار عن ديسقوريدس في الخامسة : ماكان منها منسوباً الى البلاد التي يقال لها سويس فاجوده . . . وقد يجمع بالبلاد التي يقال لها قبادوقيا من بعض المغاير ويصفى ويجلب الى البلاد التي يقال لها سويس ويباع هنالك ولذلك ينسب اليها (١٠) .

---

(١) نهاية الارب ٣٢٦/١١ جامع الادوية المفردة ١٤/٤ .

(٢) التبصر بالتجارة ١٩ . (٣) لسان ٧٥/١١ ويذكر الثعالبي الشرف طين أحمر فقه اللغة ٢٤٢ .

(٤) لسان ٧٥/١١ . (٥) اغاني ١٠٢/١٤ . (٦) لسان ٧٥/١١ .

(٧) الثعالبي: فقه اللغة ٢٤٢. (٨) لسان ٢٢٣/١٢ . (٩) لسان ٢١/٧ .

(١٠) جامع الادوية المفردة ٦٠/٤

وقد ذكرت المصادر عددا ممن كان يلبس ثيابا مصبوغة بالمشق ، ومنهم عثمان ابن عفان (١) وعبد الله بن عمر (٢) وطلحة بن عبيد الله (٣) وابو هريرة (٤) ، كما لبسه كل من عمر بن ابي ربيعة (٥) ، وكثير عزة (٦) ، ومعبد المغني (٧) وكان لبسه مباحا في الاحرام ، ففي حديث جابر «كنا نلبس المشق في الاحرام »(٨) وقد ذكر مالك ثوبا صبغه . . . بمشق .(٩) .

وذكرت « ريطة كوفية ممشقة » كانت على عثمان بن عفان (١٠) ويبدو ان المشق لم يكن من اصباغ الزينة ، فقد كان مباحا لبسه في الاحرام ، ففي حديث جابر كنا نلبس الممشق في الاحرام (١١) وكان طلحة يلبسها في الاحرام (١٢) .

فامـــا المغرة فان ابن البيطارينقل عن ديوسقوريدس انه يأتي من السويس ومن قبادوقيا ، وان اجودها المصرية والتي من قبادوقيا ، وان بعضها يأتي من« العرب من البلاد التي يقال لها لينس بان يحرق الجوهر الذي يقال له الأجر فاذا احترق استحال وصار مغرة » (١٣)

صالح احمد العلي

تنبيه : وقع خطأ في الصفحة ٧٧ فيحذف السطران ١٤، ١٥ويحذف هامشه ويوضع مكانه (يروي الجهشيارى أن نعيم بن خازم قال للفضل بن سهل انك انما تريد ان تزيل الملك عن بني العباس الى ولد عليّ ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسروياً ، ولولاانك اردت ذلك لما عدلت عن لبسةعليّ وولده ، وهي البياض ، الى الخضرة وهي لباس كسرى والمجوس (الوزراء والكتاب ٣١٣)

---

(١) ابن سعد ٣-١/٣٩ .
(٢) ابن سعد ٤-١/١٢٧ الموطأ ٢/٢١٥ . (٣) ابن سعد ٣-١/٥٦ لسان ١٢/٢٢٣ .
(٤) لسان ١٢/٢٢٣ . (٥) الاغاني ١/٧٢ . (٦) الاغاني ١٩/٣٨
(٧) الاغاني ١/٣٥ (٨) لسان ١٢/٢٢٢ (٩) المدونة ١٠/١٦٩
(١٠) حلية الاولياء ١/٦٠ (١١) لسان ٢/٢٢٢ (١٢) ابن سعد ٣-١/١٥٦
(١٣) جامع الادوية ٤/١٦٠-١٦١

والعشرين

فهرس المجلد السابع ~~والعشرون~~

من مجلة المجمع العلمي العراقي



مجلة المجمع العلمي العراقي

المجلد السابع والعشرون



١٣٩٦ هـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٧٦ م